جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربى

أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر

أ . د . محمد عمارة

العدد ٦٠
القاهرة
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربي

أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر

أ . د . محمد عمارة

العدد [٦٠]

صفر ١٤٢١هـ - مايو ٢٠٠٠م

يشرف على إصدارها

أ . د / محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أ . د / عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

على سبيل التقديم

أ . د . عبد الصبور مرزوق
نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر

******

مصر بتاريخها وجغرافيتها وبوزنها البشرى والاقتصادى والعلمى والحضارى وقبل هذا بتاريخها العريق فى التصدى للغزاة عبر العصور منذ المصريين القدماء الذين واجهوا الهكسوس إلى التتار والصليبيين ، وأخيراً دورها البارز والحاسم فى الصراع العربى الإسرائيلى الذى كان وسيبقى مركز ومحور مواجهة الهيمنة الصليبية ومحاولات التوسع الإسرائيلى فى المنطقة .

مصر بهذه المقومات كانت وستبقى بؤرة الصراع ذى البعد الدينى فى المنطقة ليس فقط بين العرب وإسرائيل ولكن بينها وبين كل القوى الصليبية والصهيونية الطامعة فى المنطقة .

***

ولأن البعد الدينى فى الصراع العربى الإسرائيلى له تأثيره الخطير على الجانبين باعتباره الحافز الأكبر فى شحذ الوجدان وحفز الهمم ورفعها إلى تحريك القوى وتجييشها للعمل فقد

تمكنت إسرائيل من استثماره لصالح أهدافها فى المنطقة فى مرحلتين بالغتى الأهمية ، كانت أولاهما :

فيما عرف بالتسويق الإعلامى المكثف لنبوءة أحد أنبيائهم ويدعى « حزقيال » والتى تقول - حسب مصادرهم - إن السيد المسيح عليه السلام لن ينزل إلى الأرض فيملؤها عدلاً بعدما ملئت جوراً إلا بعد وقوع معركة فى الألفية الثالثة تسمّى معركة « أرماجدون » أو « هارما جدون » فى أرضنا العربية بين بحيرة « طبرية » و « البحر الميت » ، وفيها تسيل الدماء جداول ويفنى ما يزيد على المليونين من البشر .

وطبعا - وكما تزعم النبوءة - سيكونون من « الجوايم » أى منا نحن العرب والمسلمين ولن يكونوا من اليهود .

***

وقد عملت إسرائيل تساندها الصهيونية العالمية على الإفادة من هذه النبوءة فى العالم الغربى الصليبى الذى تسعده بالطبع عودة المسيح فيقف إلى جانب إسرائيل بكل قوته وكل دعمه كما هو واضح مشاهد لا يحتاج إلى دليل .

***

وما أقوله هنا ليس من عندى بل هو بعض ما تحدثت به الصحفية الأمريكية «جريس هلساى» فى كتابها « النبوءة والسياسة » والمترجم إلى العربية بمعرفة جمعية الدعوة الإسلامية فى « ليبيا ».

تقول الكاتبة :

إن إسرائيل نجحت فى الترويج لهذه النبوءة وأقنعت بها كثيرين من أصحاب القرار فى الولايات المتحدة ، بل إنها رتبت رحلات لزيارة أرض المعركة المنتظرة وذلك منذ عام ١٩٣٨م .

***

تلك كانت الخطوة البارعة الأولى على طريق اجتذاب وحشد إسرائيل والصهيونية من ورائها للعالم الصليبى ليكون ظهيراً لها فيما تخطط له من احتواء دموى للمنطقة العربية وفى طليعتها مصر ، وهى خطوة نبوءة حزقيال وعودة المسيح فى الألفية الثالثة كما ذكرنا . وكانت بمثابة مقدمة .

أما الخطوة الثانية فقد تحققت كنتيجة لهذه المقدمة وذلك عندما أعلن المجمع المسكونى (المنحدث باسم الصليبية عامة) أعلن عما أسماه « تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام » .

وبصرف النظر عن اختلاف معتقدنا كمسلمين يقول كتابنا :

﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم ﴾[1] .

فحسب المعتقد عندهم أن اليهود هم قتلة المسيح ، فإذا جاء المجمع المسكونى فى ١٩٦٣م ليعلن براءتهم من دمه تكون من زاوية أخرى إعلاناً عن اليهود والنصارى وقد أصبحوا إخوة لبس

---

(١) النساء: ١٥٧ .

فقط متحابين بل ارتفع من بينهم حاجز العداء بقتل المسيح وأصبحوا على درب واحد يتجه فيه العداء المشترك إلى عدو واحد هو الإسلام .

وهذا ما هو حاصل اليوم ..

فالعالم الغربى الصليبى الذى تفرض منظمته المسماة بالأمم المتحدة بفرض على العالم كله عقوبات قاسية إذا لم توقع دوله على معاهدة حظر التجارب النووية ، ويخضع الجميع ويوقعون إلا إسرائيل .

فهى التى يقبل الغرب الصليبى رفضها للتوقيع مع علمه اليقينى باستمرار إنتاجها للسلاح النووى إضافة إلى المخزون الذى يعرفه العالم كله من الرؤوس النووية .

***

نحن إذن أمام واقع مشهود لا مجال للارتياب فيه : واقع يتحرك بخطى حثيثة للوصول بقوة إسرائيل إلى حيث تكون أقوى من جميع دول المنطقة مجتمعة : بل ولتكون قادرة على هزيمة العرب مجتمعين عند أى صدام .

***

ولأن مصر هى الدولة القوية والمحورية التى أذاقت إسرائيل مرارة الهزيمة فى حرب رمضان الشهيرة فهى بذلك الدولة الأولى المرشحة للثأر منها والمرشحة لتمزيقها من الداخل وإضعاف قواها حتى لا تقوم لها قائمة فتنفرد إسرائيل بالعرب أجمعين دون جهد يذكر .

وهنا نلتقى بالمضمون والرسالة التى يقدمها فى هذا الكتاب « أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر » الأخ والصديق والمفكر الإسلامى البارز والعميق الرؤية الأستاذ الدكتور / محمد عمارة .

وفى هذا الكتاب (الرسالة) نرى مفكراً - كالطبيب البارع يضع أنامله الدقيقة على نبض الوقائع والأحداث ليرصد مساراتها ودرجات قوتها وضعفها ليقدم فى النهاية تشخيصه للداء وتحذيره من مغبة إهمال العلاج وعدم استخدام الدواء .

إن مصر المستهدفة قوية فى التاريخ والجغرافيا والثقل البشرى والحضارى ، ومن ثم لن يجدى معها استخدام القوة إلا إذا جرى التمهيد الكبير له حتى لا تهزم كما هزمت فى حرب رمضان .

***

والحل - عند شياطين الشر من اليهود والصهاينة والغرب الصليبى السائر فى ركابها هو اختراق مصر من الداخل من خلال ما يسمى بالمراكز البحثية العميلة ومن خلال الدعوة إلى التطبيع مع العدو الصهيونى كما تنادى به جماعة كوبنهاجن ، ثم الاختراق السياسى من خلال محاولة الوقيعة بين المسلمين والأقباط تحت مسمى « دراسة هموم الأقباط ومشكلاتهم » .

وكل هذه المحاولات وقعت بالفعل على أرض الواقع وتحدث بها الإعلام المصرى المعاصر .

لكن أخطر ما فيها جميعاً هو محاولة اللعب بورقة ما أصدره الكونجرس الأمريكى فى الولايات المتحدة باسم قانون الاضطهاد الدينى ، والذى أعطت فيه أمريكا لنفسها الحق زوراً وعدواناً وتدخلاً فجاً فى الشئون الداخلية للدول الأخرى - وذلك فى أن تفرض عقوبات على الدول التى تمارس هذا الاضطهاد الدينى .

وأجمعت كل مراصد الفكر السياسى والثقافى على أن هذا القانون (**قانون الاضطهادالدينى**) موجه فى الدرجة الأولى لمصر ، وذلك بتأثير بعض العناصر العميلة التى هاجرت إلى الولايات المتحدة ، ونسمع بأخبار تظاهراتهم أمام الكونجرس وأمام البيت الأبيض عند زيارة المسئولين لأمريكا صارخين بأنهم يضطهدون فى مصر !! .

***

وهنا ترد هذه الدراسة المتعة الدقيقة والموثقة على أكذوبة هذا الاضطهاد الدينى المزعوم للأقباط فى مصر لتؤكد أن الإخوة الأقباط فى مصر منذ فجر الإسلام وإلى اليوم يتمتعون بحرية ومساواة ومودة شعبية مع إخوانهم المسلمين لا يكاد يوجد لها نظير فى أى بلد آخر ليس فى المنطقة العربية وحدها بل ليس لها نظير فى تعاملات الغرب الصليبى مع الأقليات المسلمة التى تعيش فى ديار الغرب .

***

إن الوعى بمجريات الأحداث ودقة تحليلها والربط بينها واستخلاص النتائج منها ضرورة وطنية وقومية لمعرفة اتجاه الريح وكشف المستور من مخططات القوى المعادية لمصر .

هذا الوعى ضرورة دينية قصوى لأن البعد الدينى فى الصراع العربى الإسرائيلى حقيقة على كل أبناء مصر أن يدركوها أقباطاً ومسلمين لأن التآمر على سفينة الوطن لو نجح - لا قدر الله - فلن ينجو منه أحد ، ولن تفرق الرصاصة الموجهة إلى صدر مصر بين قبطى ومسلم .

ألا فلنكن كلنا على حذر .....

أ . د . عبد الصبور مرزوق
نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بأصوات العقلاء نواجه

الأعداء .. والعملاء .. والدهماء

[illegible] مصر مستهدفة بمخطط « إمبريالي صهيوني » [illegible] ومعها كل بلاد العالم الإسلامي [illegible] حقيقة قد كتبت فيها الوثائق والكتب وعقدت حولها [illegible] [illegible] [illegible] وجمعت ونشرت [illegible] من وثائق [illegible] هذا المخطط [illegible] مصر وبلاد العالم الإسلامي في كتابي [الإسلام والتعددية] طبعة دار الرشاد سنة ١٩٩٠ م

وفي كتيب [الأقليات الدينية والقومية] طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٨م -

وفي وثائق هذه المخططات من المستشرق الصهيوني « برنارد لويس » في أربعينيات القرن العشرين إلى « بن جوريون » و « شارلت » في الخمسينيات إلى « استراتيجية إسرائيل في الثمانينيات » إلى محاضرة « أرييل شارون » في الثمانينيات إلى الندوة التي عقدت في إسرائيل في التسعينيات في كل هذه الوثائق هناك إجماع على أن تقسيم مصر بواسطة الطائفية الدينية والتعب بورقة أقباط مصر هو مفتاح تفتيت كل عالم الإسلام

وينص وثائق هذا المخطط فإن الحد الأدنى هو « تقسيم مصر إلى دولتين على الأقل ، واحدة إسلامية وثانية قبطية » هكذا في مخطط « برنارد لويس » منذ الأربعينيات ما الحد الأقصى لهذا المخطط كما رسمته استراتيجية إسرائيل في الثمانينيات أي حتى بعد معاهدة « السلام » ؟ فهو « رؤية دولة قبطية - مسيحية في صعيد مصر إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية - مصرية لا سلطة مركزية ، كما هو الوضع الآن ، هي المفتاح » مفتاح تفتيت كل عالم الإسلام ينص هذه الوثائق بقول بالحرف « فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون »

وإذا كان البعض يرهب بادعاء أننا أسرى لنظرية وذهنية المؤامرة، فإننا نقول لهم: إن المؤامرة هي تدبير سري، أما مخطط التفتيت لمصر فهو معلن على رؤوس الأشهاد. فنحن نرى قرار «امبريالي صهيوني» معلن، تصدر بتنفيذه تشريعات، وترصد له ميزانيات، وتؤلف لخدمته جمعيات ومراكز أبحاث، ونرى ثمراته على أرض الواقع في الممارسة والتطبيق.

وعندما يكون الأمر كذلك، فإن الاحتكام إلى العقل وأصوات العقلاء يكون هو طوق النجاة من تدابير الأعداء والعملاء والغوغاء. ونحن نحمد الله على أن أصوات العقل والعقلاء هي الغالبة في واقعنا المصري، رغم تركيز الإعلام الغربي والصهيوني على دعاوى العملاء والغوغاء، فعلى حين يبرز الإعلام الغربي دعاوى القلة العميلة من «أقباط المهجر» ومزاعم القلة المرتزقة في داخل مصر، لا نراه يشير ولو مجرد إشارة إلى أصوات الحكمة والعقل، التي تنطلق من خبرة التاريخ الواحد لأبناء مصر، كي تحافظ على جوهره وجوهر «الوحدة الوطنية» لكل أبناء مصر. وإذا كان استقصاء واستقراء كتابات هذه الأصوات العاقلة يحتاج إلى فصول ومجلدات، فإن من المفيد - في هذا المقام - إيراد النماذج من هذه الكتابات التي عبر فيها أصحابها عن حقيقة هذه الوحدة الوطنية، والاندماج في الثقافة العربية، والانصهار في الحضارة الإسلامية مع التنوع في الاعتقاد الديني.

* فها هو مكرم عبيد باشا [١٣٠٧ - ١٣٨٠هـ / ١٨٨٩م - ١٩٦١م] من مصر البار والزعيم الوطني البار يقول باسم أقباط مصر: «نحن مسلمون وطناً، ونصارى ديناً، إنهم أجعلنا نحن مسلمين لك، وللوطن أنصاراً، وإنهم أجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين».

* وها هو باب الأقباط الأرثوذكس «شنوده الثالث» يقول عن تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر: «إن الأقباط في ظل حكم الشريعة الإسلامية، يكونون أسعد حالاً وأكثر أمناً، ولقد كانوا كذلك في الماضي، حينما كان حكم الشريعة هو السائد. نحن نتوق إلى أن نعيش في ظل «لهم ما لنا وعليهم ما علينا». إن مصر تجلب القوانين من الخارج حتى الآن، وتطبقها علينا، ونحن ليس عندنا ما في الإسلام من قوانين مفصلة، فكيف نرضى بالقوانين المجلوبة ولا نرضى بقوانين الإسلام»؟!

* أما الأنبا موسى «أسقف الشباب بالكنيسة الأرثوذكسية وهو واحد من حكماء رجال الكهنوت فيها» فإنه هو القائل: «نحن كأقباط، لا نشعر أننا أقلية، لأنه ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقي «أثني» لأننا مصريون، وأتجاسر وأقول: كنا أقباط بمعنى أنه يجري فينا دم واحد من أيام الفراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجعلنا متحدين مهما اختلفنا، هناك

طبعاً التعبير الديني ، لكن يظل الأقوى والأوضح الوحدة العرقية ولا تشعر نحن الأقباط بشعور الأقلية البغيض الذي يعاني منه غيرنا نحن أقلية عددية فقط ولكن هذا لا يجعلنا نشعر أن هناك شرخاً بيننا وبين إخواننا المسلمين من جهة الهوية العربية ، نحن مصريون عرقاً ، ولكن الثقافة الإسلامية هي السائدة الآن كانت الثقافة القبطية هي السائدة قبل دخول الإسلام وأي قبطي يحمل في الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة بل هي جزء من مكوناته نحن نحيا العربية لأنها هويتنا الثقافية ومقتنعون بالطبع بأن فكرة العروبة فكرة سياسية واقتصادية وثقافية ، بالإضافة لوحدة المصير المشترك والعلاقة بين الجذور والعروبة علاقة تناصرية هذه دوائر متداخلة وحينما نذكر الأقباط أيام الدولة العثمانية كانوا مع إخوانهم المصريين لهم دور مشترك وكثير من الأقباط عملوا وشاركوا بشكل واضح في الحياة السياسية في عهد محمد علي والأقباط دورهم بعد ثورة سنة ١٩٥٢م تقلص كجزء من التقلص الشامل في المشاركة لمصر كانت هناك سلبية شاملة وأنا أعتقد أن الأقباط جزء هام من نسيج الحياة المصرية فهم

أطباء وصيادلة ومهندسون وغيرها من المهن ونسبتهم في رجال الأعمال مرتفعة أكثر من نسبتهم العددية في مصر ونحن نرفض المسيحية السياسية ، لأن المسيح قال « مملكتي ليست بالعالم » ولو حدثت المسيحية السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية ومصر دائماً دولة مسلمة ومتدينة ولكن بدون تطرف ولو عشنا كمسلمين وأقباط ، وفي إطار الصحوة الدينية المصحوبة بصحوة وطنية فسيكون المستقبل أكثر من مشرق نحن في مصر نسيج واحد ، وسعداء بذلك ، وهذه حماية استراتيجية لنا كأقباط وتقسيم مصر فكرة مستحيلة ، وغير مسيحية ، ولو فكرنا في ذلك معناه أننا نجهز أنفسنا للإبادة إنها فكرة عبثية فكرة صهيونية من أجل تفتيت مصر وعندما شاهدت ما يحدث في العراق ، قلت نجح الصهاينة ، وأصبح العراق ثلاث دول فهذه الفكرة الصهيونية ليست قبطية »

* ومع صوت العقل والحكمة في الكنيسة الأرثوذكسية المصرية تقف صوت العقل في الكنيسة المصرية الكاثوليكية فيعبر بابا البطريرك الكاثوليكي قائلاً « ... » « أوافق تماماً على أن أكون مصرياً مسيحياً تحت حضارة إسلامية بل أنا مسلم ثقافةً مائة في

المائة أن عضو في الحضارة الإسلامية كما تعلمتها في الجامعة المصرية تعلمت أن النبي محمد ﷺ سمح لمسيحيي اليمن أن يصلوا صلاة الفصح في مسجد المدينة فإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذه الصورة التي تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحي والتي تعلي من قيمة الإنسان كخليفة عن الله في الأرض فكلنا مسلمون حضارة وثقافة وإنه يشرفني ، وأفتخر أنني مسيحي عربي ، أعيش في حضارة إسلامية وفي بلد إسلامي وأساهم وأنمي مع جميع المواطنين ، هذه الحضارة الرائعة »

وعبر أصوات العقل والحكمة التي أعلنها عقلاء رجالات الكنيسة في مصر من الأرثوذكس والكاثوليك ومعهم الإنجيليون هناك أصوات العقل والحكمة التي علتها المثقفون المسيحيون الذين لم تخترق عقولهم مزاعم الأعداء فتحولهم إلى عملاء أو عوعاء

* فالدكتور غالي شكري يكتب فيقول « إن الحضارة الإسلامية هي الانتماء الأساسي لأقباط مصر وعلى الشباب القبطي أن يدرك جيداً أن هذه الحضارة العربية الإسلامية هي حضارته الأساسية إنها الانتماء الأساسي لكافة المواطنين صحيح أن لدينا حضارات عديدة من الفرعونية إلى اليوم ، ولكن

الحضارة العربية الإسلامية قد ورثت كل ما سبقها من حضارات ، وأصبحت هي الانتماء الأساسي ، والذي بدونه يصبح المواطن في ضياع . إننا ننتمي - كعرب من مصر - إلى الإسلام الحضاري والثقافي وبدون هذا الانتماء نصبح في ضياع مطلق . وهذا الانتماء لا يتعارض مطلقاً مع العقيدة الدينية بالعكس . لماذا ؟ لأن الإسلام وحّد العرب ، وكان عاملاً توحيدياً للشعوب والقبائل والمذاهب والعقائد .

« والمفكر النصراوي القبطي « أبو سيف يوسف » صاحب كتاب [الأقباط والقومية العربية] يسير على هذا الدرب فيقول : « لقد ساد علاقات الأقباط بالعرب والمسلمين بالمسيحيين الاحترام والتعاون حتى إن الوعظ في الكنيسة تحول من اللغة اليونانية (التي ظلت تستعمل كلغة للدولة أيضاً من عهد البطالسة إلى عهد البيزنطيين ، أي حوالي ألف سنة) إلى اللغة العربية . فالجماعة الإثنية بمصر واحدة تتكلم اللغة نفسها ، ولها ثقافة عامة مشتركة وتشكل في النهاية كياناً اجتماعياً واحداً . »

إنما هي أصوات العقل والحكمة التي تمثل جمهور الحضاري بمصر والتي يجب أن نبرزها ونعلنها وننشرها لتواجه بها مخططات الأعداء ومزاعم العملاء وعزل الدهماء .

وفي ختام هذه الكلمات ، أدعو قارئها المسلم إلى إعادة
قراءتها مرة أخرى ، وأدعو قارئها المسيحي إلى قراءتها ثلاث
مرات ، وأدعو وزارة الخارجية إلى ترجمتها وتوزيعها على
مكاتب الثقافة والإعلام بسفاراتنا ، فبالحكمة والعقل ، وبوجه
مصر المشرق يجب أن نواجه مخططات الأعداء ، ومزاعم
العملاء ، الرشيد الجهلاء والدهماء

أكذوبة الخط الهمايونى

كذب ثم كذب فأنت لابد واحد من تصدقك

بل كانت فلسفة التجارة والفاشية فى الثقافة والإعلام ترديد الأكاذيب والإلحاح على عقول الناس بتكرار هذه الأكاذيب ، حتى يصدقها الناس بل وتصبح عندهم من البديهيات والمسلمات ...

بل إن فى مأثورات الفكاهات العربية ما يوحى بأن ترديد الأكاذيب يؤدى إلى أن يصدق حتى الكذبة ما يرددون من أكاذيب فشخصية « أشعب » فى المأثور الفكاهى العربى كانت تكذب على الأطفال الذين يتملقون حولها

فتقول لهم كي تنصرفوا بعيداً عنها إن هناك وسيلة
تسمى عند « فلان » الكريم وإنهم جميعاً مدعوون إليها وقد
ما صدقه الأطفال وانطلقوا نحو منزل « فلان » الكريم أحد
أشعب يجري خلفهم إلى ذات المكان مصدقاً أكذوبته ، وحتى
لا يضيع عليه الاستمتاع بالوسيلة التي اخترع خبرها

ولقد كانت تتوارد إلى خاطري هذه المعاني كلما سمعت أو
قرأت صور الهجوم على مصر والتهجم على حكومتها إن
مصر لا تزال بعد قرن ونصف من زوال الدولة العثمانية
تطلق على مواطنيها الأقباط قانوناً عثمانياً صدر سنة
١٨٥٦ م اسمه « الخط الهمايوني » وإن بناء الكنائس في
مصر لا يزال إلى الآن محكوماً بنود هذا « الخط الهمايوني »
وكان عجبي يتزايد ، ليس فقط من الكذب والكاذبين ، وإنما من
حكومتنا التي تنفق بسخاء على طوابير من « المثقفين »
كيف لا تفكر هذه الحكومة في تحقيق هذا الأمر النقي ودحض
هذه الأكذوبة التي عدت سنة في حينها ترددها صباح مساء
تعملا من أقباط المهجر والأعداء في دوائر الكونجرس
الأمريكي والبوني الصهيوني في أمريكا وكل المنتفعين
بالتمويل الأجنبي في مصر تحت لافتات مراكز « الأبحاث »
و « الدراسات » في « هموم ومشاكل ومطالب الأقباط » ؟

وإذا كان الهدف هو تجلية الحقيقة النقي ودفن الأكذوبة
فسنبدأ بتعريف القارئ بمعنى هذا « الخط الهمايوني »

* إن معنى كلمة الخط هو القانون ومعنى الهمايوني هو الشريف. فالمصطلحات العثمانية «الخط الهمايوني» هو القانون السلطاني الشريف والمعظم.

* وهذا الخط الهمايوني هو واحد من القوانين الإصلاحية التي سميت بالإصلاحات الخيرية، تلك التي أصدرها السلطان عبد المجيد خان ١٢٥٥-٢٧٧ هـ، ٨٣٩-٨٦١ م، وفي جمادى الآخرة سنة ٢٧٢ هـ، ٨ فبراير سنة ٨٥٦ م.

وإنصاف الأقليات غير الإسلامية من رعايا الدولة العثمانية وإزالة مظاهر التمييز بينهم وبين المسلمين وتقرير المساواة بين كل رعايا الدولة بصرف النظر عن العقيدة الدينية. وبعد كل هذا من صدر هذا القانون التحدي «الإصلاحي» هو سد ثغرات التدخل الأجنبي الاستعماري في شئون الدولة العثمانية بدعوى وحجة حماية الأقليات الدينية ذات الروابط الجاهلية مع الدول الاستعمارية في ذلك الوقت. فقد كانت القيصرية الروسية وهي أرثوذكسية تتدخل في شئون العثمانية بدعوى «حماية الروم الأرثوذكس من الرعايا العثمانيين» وكذلك كانت تفعل فرنسا مع «الروم الكاثوليك» وإنجلترا مع الإنجيليين.

أي أن هذا الخط الهمايوني قد صدر لتحقيق الإنصاف والإصلاح سداً لثغرات التدخل الاستعماري في شئون الدولة تلك الثغرات التي كانت متمثلة في الأقليات ذات الارتباط والعلاقات المذهبية مع القوى الاستعمارية التي في ذلك التاريخ القيصرية الروسية وفرنسا وإنجلترا.

* ولقد نص هذا الخط الهمايوني على ضرورة رفع المظالم المالية عن النصارى سواء تلك التي كانت بحساب جهاز الدولة بحساب كبار رجال الدين في طوائف هؤلاء النصارى وبنفس ذلك العصر، جاء في هذا القانون

« ويصير منع كافة الجوائز والعوائد الجاري إعطاؤها للرهبان مهما كانت صورتها، وتخصص إيرادات معينة بدلها للبطاركة ورؤساء الطوائف، ويصير تعيين معاشات بوجه العدالة بموجب ما يتقرر وبحسب أهمية رتب ومناصب سائر الرهبان، ولا يحصل السكوت على أموال الرهبان المسيحيين المنقولة والغير منقولة، بل يصير إحالة حسن المحافظة عليها على مجلس مركب من أعضاء ينتخبهم رهبان وعوام كل طائفة، لإدارة مصالح طوائف المسيحيين والتبعية الغير مسلمة »

ففي هذا النص تقرر رفع المظالم عن كاهل النصارى وتنظيم الرواتب والمعاشات للرهبان ورجال الدين وتكوين مجالس بالانتخاب العام لإدارة شئون هذه الملل والطوائف غير المسلمة وذلك للمرة الأولى في تاريخ هذه الطوائف

* لإزالة عبارات التمييز والتحقير التي كانت تستخدم بالمحررات والمكاتبات الرسمية - ضد النصارى، كما في نص الخط الهمايوني

« تمحى وتزال إلى الأبد من المحررات الرسمية الديوانية كافة التعبيرات والألفاظ المتضمنة تحقير جنس لجنس آخر في اللسان أو الجنسية أو المذهب من أفراد تبعة سلطنتنا السنية ، ويمنع قانوناً استعمال كل وصف وتعريف يمس الشرف أو يستوجب العار بين أفراد الناس ورجال الحكومة »

* وتقرير الحرية الدينية ، في الاعتقاد و[illegible] التعبير ، نص الخط الهمايوني

« ولما أن عوائد كل دين ومذهب موجود بممالكنا المحروسة جارية بالحرية ، فلا يمنع أي شخص من تبعتنا الملوكية من إجراء رسوم الدين المتمسك به ، ولا يؤدي بالنسبة لتمسكه به ولا يجبر على تبديل دينه ومذهبه .. »

* وتقرير المساواة بين جميع الرعية من كل الديانات والمذاهب في تولي الوظائف العامة بالدولة والمدارس المدنية والعسكرية ، نص الخط الهمايوني

« ويكون انتخاب وتعيين خدمة ومأموري سلطنتنا السنية منوطاً باستنساب إرادتنا الملوكية، فيصير قبول تبعة دولتنا العلية من أي ملة كانت في خدماتها ومأمورياتها ، بحيث يكون استخدامهم في المأموريات بالتطبيق للنظامات المرعية الإجراء في حق العموم بحسب استعدادهم وأهليتهم ، وإذا

قامو بإيفاء الشروط المقررة بالتعليمات الملوكية المختصة بالمكاتب التابعة لسلطتنا السنية ، بالنسبة للسن والامتحانات يصير قبولهم في مدارسنا الملكية والعسكرية بلا فرق ولا تمييز بينهم وبين المسلمين .. »

= وفوق كل ذلك [illegible] تخصصاتها ، فجاء في نصه

« وعدا ذلك ، فإن كل طائفة مأذونة بإعداد مكاتب أهلية للمعارف والحرف والصنائع [illegible] طرق التدريس وانتخاب المعلمين يكون تحت ملاحظة مجلس المعارف المختلط المعينة أعضاؤه من طرفنا الملوكي .. »

وكذلك نص [illegible] على [illegible] الخدمة العسكرية [illegible] الحقوق فجاء فيه

« وكما أن مساواة الخراج تستوجب مساواة سائر التكاليف والمساواة في الحقوق تستدعي المساواة في الوظائف فالمسيحيون وسائر التبعة الغير مسلمة يسجلون بمرة قرعة مثل المسلمين ويجبرون على الانقياد للقرار الصادر أخيراً وتجرى عليهم أحكام المعافاة من الخدمة العسكرية بتقديم البدل الشخصي أو النقدي .. »

* ولتقرير المساواة بين غير المسلمين والمسلمين في التكاليف المالية والخراج وإزالة أي تفرقة وتمييز بين الرعية في ذلك نص الخط الهمايوني على

« ولكون التكاليف والخراج الموزع على كافة تبعة سلطنتنا السنية لا ينظر فيه إلى أجناسهم ومذاهبهم بل جارى تحصيله بصفة واحدة ، فيلزم المذاكرة في التدابير السريعة لإصلاح سوء الاستعمال الواقع في أخذ واستيفاء هذه التكاليف »

* وبتعديل وتصديق واعتماد شهادة الشهود غير المسلمين في الدعاوى التي تتعدد ديانات ومذاهب أطرافها نص الخط الهمايوني على

« وتصدق شهادة الشهود بمجرد تحليفهم اليمين حسب قواعدهم ومذاهبهم »

* أما بناء الكنائس الجديدة ، فلقد أباحه الخط الهمايوني بعد تقديم طلب البناء والتأكد من ملكية الأرض التي سيتم عليها البناء وذلك دون رسوم أو تكاليف فجاء فيه

« وأما الأبنية المقتضى إنشاؤها مجدداً ، يلزم أن تعرض البطاركة والمطارنة لبابنا العالي باسترحام الرخصة اللازمة عنها فإن لم يوجد لدى دولتنا العلية موانع في الامتلاك تصدر لها رخصتنا السنية وكافة المعاملات التي تحصل فيما يماثل كل هذه

لأشغال تكون مجاناً من قبل دولتنا العلية في التأمين على إجراء عوائد كل مذهب بكمال الحرية ، مهما كان مقدار العدد التابع لهذا المذهب »[1]

***

تلك هي أمور المواد والأفكار والقضايا التي تناولها الخط الهمايوني بالإصلاح والتطوير والإنصاف والتنظيم والتي قرر بها كامل المساواة بين رعية الدولة العثمانية على اختلاف الديانات والمذاهب وهي إصلاحات وإن صدرت قبل قرن ونصف إلا أنها لازالت تمثل مطالب ومقاصد بل وأمنيات ، للأقليات المسلمة في كثير من بلاد النور والتنوير والديمقراطية العربية في القرن الواحد والعشرين !! .

لكن الكذبة لا يكتفون بتشويه التاريخ اعتماداً على الجهل وسوء النية وإنما ذهبوا إلى حد الزعم بأن مصر لا تزال حتى الآن تطبق على أقباطها هذا الخط الهمايوني رغم زوال الدولة العثمانية وكل تقنيناتها منذ ثلاثة أرباع القرن بينما الحقيقة الصارخة والمذهلة تقول إن هذا الخط الهمايوني لم يكن في يوم من الأيام مطبقاً في مصر، حتى عندما كانت مصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية ! .

---

(1) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، الطبعة الأولى ص ٢٥٦ - ٢٦

«فمصر منذ قيام دولة محمد على باشا (١١٨٤-١٢٦٥هـ / ١٧٧٠م -١٨٤٩م) أى قبل نصف قرن من صدور خط لهمايونى قد حققت استقلالها فى التشريع والتقنين عن دولة العثمانية أى الاستقلال فى « العدل والحقانية » ، بلغة ذلك التاريخ وهى قد حققت هذا الاستقلال فى الفقه والتشريع والتقنين لكل أبنائها مسلمين كانوا أو مسيحيين ولم يكن لقانون عثمانى حكماً فى مصر، لا على المسيحيين ولا على المسلمين حدث هذا بحكم الأمر الواقع فى الاستقلال الذى حققته دولة وسلطة محمد على باشا ثم جرى تقنين هذا الاستقلال التشريعى فى تفاق كوتاهية سنة ١٨٣٣م

«وحتى عندما جاءت معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م فسقطت من سيادة مصر واستقلالها ، فإنها قد وقفت عند الاعتراف عند وضع القيود على قوة مصر العسكرية وعدد تقرير الجزية التى تدفعها مصر للدولة العثمانية وظلت سيادة مصر واستقلاليتها فى المعاملات المالية الخارجية وفى التقنين والتشريع لا حباً من دول الأوروبية - التى عقدت معاهدة لندن فى استقلال مصر بتلك الميادين ، وإنما حرصاً على فتح الباب أمام مصر

لتستدين من أوروبا ولتأخذ بالقوانين الأوروبية ، دونما عائق عثماني في هذه الميادين !

ولذلك ، نص الفرمان العثماني الصادر لمحمد علي باشا في أول يونية سنة ١٨٤١م على استقلال مصر في التشريع « ملاحظة للظروف المحلية المختصة بالعدل والحقانية » ، وجاء فرمان ٨ يونية سنة ١٨٦٧م الصادر للخديوي إسماعيل (١٢٤٥-١٣١٢هـ / ١٨٣٠-١٨٩٥م) لينص على أن الذي يسري بمصر من القوانين العثمانية هي « المبادئ العمومية ، المنشورة في تنظيمات « كلخانة » أعني تأمين الأرواح والأموال والشرف! وبعبارة المؤرخ عبد الرحمن الرافعي (١٣٠٧-١٣٨٥هـ/١٨٨٩-١٩٦٦م) « فإن حكومة مصر في عهد محمد علي وخلفائه لم تنازعها تركيا يوماً ما في حقها المطلق في التشريع والتقنين بكل أنواعه ، ولم تتدخل البتة في هذا الصدد إطلاقاً .. »[1]

* ويشهد على هذه الحقيقة حقيقة استقلال مصر في العدل والحقانية والتشريع والتقنين

وأن القانون العثماني ومنه الخط الهمايوني لم يكن مطلقاً في مصر في يوم من الأيام ، منذ قيام دولة محمد علي باشا وأن الإصلاحات التي صدر

---

(١) الرافعي عصر محمد علي ص ٢٦٢-٢٦٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م

لأجنبي الخط الهمايوني سنة ١٨٥٦م قد سبقت إلى تقريرها مصر في عهد الخديوي سعيد (١٢٣٧-١٢٧٩هـ / ١٨٢٢-١٨٦٣م) بما سنته من إلغاء للجزية ، ومساواة النصارى بالمسلمين في قواعد الجندية سنة ١٨٥٥م .

* [illegible] القانون العثماني [illegible] في مصر [illegible] حتى [illegible] العثمانية [illegible] سنة ١٨٦٩م [illegible] العثماني [illegible] مصر أيضاً

* [illegible] سنة ١٨٥٦م [illegible] الاستعماري [illegible] العثمانية [illegible] على حين لم تكن أقباط مصر يعاملون كأقلية [illegible] كانوا دائماً وأبداً جزءاً أصيلاً من الشعب المصري [illegible] يعاملون كأقلية [illegible] « قانون الملل » العثماني في يوم من الأيام [illegible] الخط الهمايوني من هذا القانون ولا غير الخط الهمايوني

* [illegible] مصر في [illegible] سواء [illegible] [illegible] سنة ١٨٥٥م

الذي ألغى الحرية وساوى بين كل المصريين في التجنيد
فسنت مصر لائحة المحاكم الشرعية الإسلامية سنة ١٨٨٢ م
واتبعت ذلك سفينة لائحة الأقباط الأرثوذكس ذكرينو
٢ رجب سنة ١٣٠٠ هـ ، ١٠ مايو سنة ١٨٨٣ م وهو « ذكرينو
الذي عدل بالقانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢م ثم بالقانون رقم ٩
لسنة ١٩٢٧ م ولقد قلدت مصر حول النصارى الإنجليز
بذكرينو لائحة أول مارس ١٩١٢م وحول الأرمن
الكاثوليك بلائحة ذكرينو ١٨ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م فكان
التشريع والتقنين مصرياً خالصاً لكن بناء مصر مسجد
كانوا أو مسيحيين ولقد ظلت هذه التشريعات المصرية
الصميمة هي التي يشار إليها في مقدمات الموافقات
والتصريحات ببناء الكنائس في مصر وليس
هناك تصريح واحد ببناء كنيسة مصرية يشار في
مقدمته إلى الخط الهمايوني ، الذي جعله الكذبة
والعملاء - في الخارج والداخل « جرسة » وسنه «
« يحرسون » به مصر ، حكومة وشعباً متبعين في
ذلك فلسفة النازية والفاشية في الثقافة والإعلام
اكذب .. ثم اكذب ، فإنك لابد واجد من يصدقك ! .

على حين وقفت الحكومة ومثقفوها المرتزقة وتزرته
قوانينها في غفلة بلهاء عن كشف حقيقة الخط الهمايوني
وكيف أنه لم يكن في يوم من الأيام قانوناً لنصارى مصر
لا في العهد العثماني ، ولا بعد سقوط دولة آل عثمان

أكذوبة اضطهاد الأقباط

هل هي مجرد صدفة أن جميع الذين احترفوا تهويل الحديث عن مظالم الأقباط وهموم الأقباط واضطهاد الأقباط في مصر هم من غلاة أعداء الهوية الإسلامية لمصر، وإسلامية القانون المصري، وتطبيق الشريعة الإسلامية في مصر؟!

وهل هي مجرد صدفة أن كل «المراكز البحثية» التي احترفت الحديث عن «هموم الأقباط» ممولة من البلاد والجهات التي أعلنت وتعلن أن الإسلام هو العدو الذي حل محل امبراطورية الشر الشيوعية؟!.

وهل هي مجرد مصادفة أن تأتي الدعوة إلى الانقلاب على مقومات الإسلامية للنظام الاجتماعي في مصر، كما صاغها الدستور المصري من رئيس كبير «المراكز البحثية» التي اخترقت تأليف الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات وإصدار النشرات عن «هموم الأقباط» و«اضطهاد الأقباط»؟ بل وأن تتم هذه الدعوة من على منبر الكاتدرائية الأرثوذكسية - في العباسية - في قاعة «الأنبا صموئيل» مع شديد الأسف - وذلك عندما وقف الدكتور / سعد إبراهيم ليدعو إلى تغيير هوية مصر، والانقلاب على مقوماتها التي نص عليها الدستور، وذلك بإلغاء المادة الثانية من الدستور المصري التي تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع؟!

إن الدكتور / سعد إبراهيم - الذي يحتمي بالجنسية الأمريكية والزوجة الأمريكية العاملة في الأجهزة الأمريكية والذي يدرس في الجامعة الأمريكية التي تأسست في الأصل مدرسة للتبشير المسيحي وتحويل الأرثوذكس إلى البروتستانتية - يمارس الدعوة إلى إلغاء مرجعية الشريعة الإسلامية والهوية الإسلامية لمصر من خلال «مركز بحثي» أطلق عليه اسم «ابن خلدون» - قاضي الشريعة الإسلامية وفقيه المذهب المالكي؟؟ وهو يمارس هذه الدعوة الانقلابية بتمويل سخي ودائم معلن من الدوائر التي تحدد من

الإسلام عدواً ؟ وإذا كان هذا غريباً وشاذاً من مواطن مصري يحمل الجنسية المصرية قبل الجنسية الأمريكية فإن الأكثر غرابة والأشد شذوذاً أن تفتح قاعات الكاتدرائية الأرثوذكسية ومنابرها لدعوة الانقضاض والانقلاب على الهوية الإسلامية لمصر

في الوقت الذي نعرف فيه أن الرأي « المعلن » للكنيسة الوطنية هو مع الشريعة الإسلامية وليس ضدها ومع إسلامية الهوية الحضارية والثقافية لمصر وليس مع تغييرها فالبابا شنوده هو القائل « إن الأقباط ، في ظل حكم الشريعة الإسلامية ، يكونون أحسن حالاً وأكثر أمناً ولقد كانوا في الماضي ، حينما كان حكم الشريعة هو السائد نحن نتوق إلى أن نعيش في ظل (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) »[1]

« والأنبا موسى » أسقف الشباب هو المدافع عن الهوية الإسلامية والثقافة الإسلامية لكل أبناء مصر أقباطاً ومسلمين وهو القائل « نحن مصريون عرقاً ، ولكن الثقافة الإسلامية هي السائدة الآن وأي قبطي يحمل في الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة بل هي

---

(١) صحيفة الأهرام - عدد ٦ مارس سنة ١٩٨٥م

جزء من مكوناته ، فمصر دائماً دولة مسلمة ومتدينة ».

[illegible] الدعوة للانقلاب على مقومات الإسلامية [illegible] المصري والمجتمع المصري إلى [illegible] وانطلقت من فوق منابرها [illegible] الجمعة ٢٤/ [illegible]

[illegible] الإسلام وشريعته [illegible] « تدبير سري » [illegible] في مراكز الدراسات الاستراتيجية [illegible] وفيه كتب [illegible] عشرات الكتب [illegible] كل [illegible] الأجنبي [illegible] مراكز [illegible] التي تقوم عليها عشرات من علماء [illegible] من قضية الإفساد [illegible] « عقبات » في طريق [illegible] الإسلامية [illegible] الإسلام [illegible] الإفساد [illegible] من الأكراد [illegible] العراق [illegible] حكوماتها [illegible] الإسلام.

ولأن « القضية » [illegible] ومقنعة [illegible] الأكاذيب [illegible] الدعوى وجوهر الادعاء.

[illegible] ٥٢٩ [illegible]

هل أقباط مصر مضطهدون ؟

[illegible] الأول هو تصوير [illegible] الإسلامية [illegible] وحدة [illegible] كتلة [illegible] وحدة [illegible] ومن ثم تقديم [illegible] تعريفة [illegible] وقد [illegible] أشرت [illegible] هذه [illegible] الوحدة [illegible] كما [illegible] من [illegible] مصطلح [illegible] سمي [illegible] بيوم [illegible] الأقباط [illegible] ومصطلح [illegible] قبطت [illegible] حتى [illegible] بعد [illegible] ذهب [illegible] هؤلاء [illegible] تقديمه [illegible] على [illegible] درب [illegible] الكتب [illegible] التي [illegible] تعتمد [illegible] على [illegible] الرقم [illegible] فقه [illegible] الأرقام [illegible] والحقائق [illegible] والإحصاءات [illegible] !.

[illegible] وقد [illegible] كنت [illegible] سعيد [illegible] بهم [illegible] قبل [illegible] أن [illegible] يكشف [illegible] بعقوبة [illegible] « الأقباط [illegible] في [illegible] مصر [illegible] سنة ٩٨٨ م [illegible] كتابه [illegible] (**المجتمع والدولة في الوطن العربي**) فخصص [illegible] فصلا [illegible] بعنوان [illegible] « [illegible] ٨ [illegible] مسألة [illegible] قبطية [illegible] » [illegible] تحدث [illegible] فيه [illegible] عن [illegible] الأقباط [illegible] في [illegible] مصر [illegible] وتصويرهم [illegible] الخاطئ [illegible] لحقيقة [illegible] وضعهم [illegible] في [illegible] كتابه [illegible] (**الأقباط في الوطن العربي**) [illegible] سنة ١٩٩٠م [illegible] في [illegible] عام [illegible] واحد [illegible] من [illegible] كتابه [illegible] الأول [illegible] قدم [illegible] الدكتور [illegible] سعد [illegible] الدين [illegible] إبراهيم [illegible] بعد [illegible] أكثر [illegible] من [illegible] سبعة [illegible] أعوام [illegible] وشهور [illegible] قليلة [illegible] إلى [illegible] شيء [illegible] غير [illegible] مبرر [illegible] ؟

ولا [illegible] يهدف [illegible] هذا [illegible] الكتاب [illegible] إلى [illegible] تقديم [illegible] [illegible] [illegible]

* وعلى هذا الدرب [illegible] يكذب في الأرقام والإحصاءات [illegible] سعد إبراهيم وغيره حتى رأيناهم يبلغون بعدد أقباط مصر إلى سبعة ملايين، وأحياناً عشرة، وأحياناً خمسة عشر مليوناً. يحدث ذلك في بلد يقوم بإحصاء رسمي ودقيق ومحايد لعدد السكان وديانتهم وطبقاتهم وتخصصاتهم كل عشر سنوات. ويحدث ذلك في مصر منذ الاستعمار الإنجليزي حتى الآن. وهذه الإحصاءات تعلن بثبات سقوطي لنسبة الأقباط إلى المسلمين منذ أن كان القائم على التعداد الإنجليز والموظفون الأقباط وحتى آخر تعداد. ففيما بين ١٩٠٧م و١٩٣٧م كانت نسبة النصارى كل النصارى إلى المسلمين أعلى قليلاً من ٨٪ ثم هبطت في تعداد ١٩٤٧م إلى ٧٫٩٪ ثم أخذت نسبة ارتفاع أعداد المهاجرين الأقباط في الهبوط، فكانت في سنة ١٩٦٠م ٧٫٣٪ وفي إحصاء ١٩٨٦م ٥٫٩٪ أي أن تعداد الأقباط هو في هذا الإحصاء أقل من ثلاثة ملايين، وليس عشرة ملايين، أو خمسة عشر مليوناً؟!

والذي يقر هذه الحقيقة ويؤكد على صدق الإحصاءات الرسمية ليس كاتباً إسلامياً، وليس مرجعاً كتبه مسلم، وإنما هو مصدر في المعلومات والإحصاءات كتبه اثنان من النصارى، أحدهما فرنسي هو فيليب فارج، رئيس المركز الفرنسي لمصر، والثاني لبناني هو رفيق البستاني. ففي هذا المصدر [illegible] طلس معلومات العالم العربي [illegible] المجتمع والجغرافيا السياسية، والذي نشرته دار نشر قرمية

وليست إسلامية - هي « دار المستقبل العربي » سنة ١٩٩٤م
في هذا المصدر الحجة نقرأ تحت عنوان « أقباط مصر »
ما يلي

« كم عددهم ؟ كم عدد أكبر طائفة مسيحية في الشرق ؟ هل
يبلغ أكثر قليلاً من ثلاثة ملايين ، كما يمكن استنتاجه من آخر
تعداد للسكان (١٩٨٦م) ؟ أم هل يرتفع عددهم إلى ٥ و ٦ أو حتى
٧ ملايين كما تؤكد بعض الهيئات القبطية ؟

إن التفاوت في التقدير أمر غريب في بلد تتوفر
فيه الإحصاءات بغزارة فمصر على عكس بعض
بلدان المنطقة ، لا تبخل بالمعلومات عن سكانها ، إذ
تجرى التعداد بصفة منتظمة منذ سنة ١٨٨٢م وجاء
بحصيلة لا بأس بها من المعلومات ، وهي حصيلة
قابلة للتحقق منها وللمطابقة بينها وبين غيرها

ومع هذا فإن الجدل حول هذا الموضوع مازال
قائماً، فالطائفة القبطية تقول إن تقرير عدد الأقباط
بنسبة ٦٪ من عدد السكان الكلي ، كما تشير إلى ذلك
الإحصاءات الرسمية فيه تقليل من عددهم ، ولكننا
نلاحظ أن التعدادات التي أجريت في عهد الاستعمار،
تؤكد هذه الأرقام الرسمية ونلاحظ تناقصاً طفيفاً
في نسبة عدد الأقباط كما يتبين من التعدادات
المتتالية

إذ كانت نسبة الأقباط أعلى قليلاً من ٨٪ من العدد الكلى لسكان مصر ، فيما بين عامى ١٩٠٧م ، ١٩٣٧م، ثم هبطت النسبة إلى ٩ر٧٪ فى تعداد ١٩٤٧م ، وإلى ٣ر٧٪ فى سنة ١٩٦٠م ، ٩ر٥٪ فى سنة ١٩٨٦م ، وليس هناك أى استثناء فى هذا المنحنى الهابط بانتظام مما يوحى بأنه ليس هناك فتعال فى هذه الظاهرة .

فهل تركيز الأقباط فى أمكنة بعينها ، والتضامن القوى بينهم بسبب التوترات الدينية التى تظهر من وقت إلى آخر هل كل ذلك يوهم الأقباط بأن عددهم أكبر من الأرقام الرسمية ؟

والواقع أن الأقباط يتركزون فى معظمهم فى منطقتين القاهرة والصعيد حول المنيا وأسيوط حيث يمثلون ٢٪ من السكان

الحقيقة أن أقباط مصر ، شأنهم فى ذلك شأن مسيحيى الشرق الآخرين ، سبقوا المسلمين إلى تخفيض عدد المواليد ، ولذلك قد هبطت نسبة عدد الأقباط بالنسبة للعدد الكلى للسكان من ٣ر٧٪ فى سنة ١٩٦٠م إلى ٩ر٥٪ فى عام ١٩٨٦م

تلك هى الحقيقة كما أعلنها العلماء المحايدون المتدينون بالنصرانية ، من غير المصريين !!

لكن الهدف من الكذب الفاجر هو « تضخيم الورقة التي تتحول بالكذب أيضا إلى عقبة أمام الهوية الإسلامية للدولة والمجتمع والدستور والقانون ».

* وبعد تضخيم التعداد يأتي تضخيم « المظالم والهموم ».

وإذا كانت الأرقام لا تكذب وإذا كانت العقلية العربية والعقلية العلمية عموما لا تحترم لغة الأرقام فعلينا أن نواجه سيل الأكاذيب التي تتحدث عن « مظالم الأقباط وهمومهم » بحقائق الأرقام والإحصاءات وهي حقائق تصرح مع شيخنا محمد الغزالي عليه رحمة الله فتقول « إن أقباط مصر هم أسعد أقلية في العالم ».

لقد درس المستشرق الألماني الحجة « آدم متز » (٨٦٩ - ٩١٧ م) تاريخ المجتمعات الإسلامية ورأى كيف كانت الدولة وأجهزتها الحساسة في أيدي الأقليات النصرانية فكتب يقول « لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام » (١).

وإذا كان الاقتصاد هو عصب الحياة وإذا كانت المهن الممتازة هي القابضة على الامتيازات الحقيقية في المجتمع فإن الأرقام التي لا تكذب ولا تتأمل تعلن أن الأقلية القبطية التي

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري [illegible]

(٢) محمد عبد الهادي أبو ريدة، طبعة بيروت سنة ١٩٦٣ م

(يتعدى ثلاثة ملايين - هي الحاكمة الفعلية في المجتمع المصري الذي يزيد تعداده عن الستين مليوناً ، فهم يملكون ويمثلون

- ٢٢٫٥٪ من الشركات التي تأسست بين عامي ١٩٧٤م و١٩٩٥م

و ٢٠٪ من شركات المقاولات في مصر

- و ٥٠٪ من المكاتب الاستشارية .

و ٦٠٪ من الصيدليات

و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة

- و ٣٥ من عضوية غرفة التجارة الأمريكية وغرفة التجارة الألمانية

و ٦٠ من عضوية غرفة التجارة الفرنسية ، منتدى رجال الأعمال المصريين والفرنسيين)

- و ٢٠٪ من رجال الأعمال المصريين

وأكثر من ٢٠ من المستثمرين في مدينتي السادات والعاشر من رمضان

- و ٢٥ من المهن المختارة والمتميزة الصيادلة والأطباء والمهندسين والمحامين ، والسيطرين

أي أن ٥٫٩ من سكان مصر - أقباط - يملكون ما يتراوح بين ٣٥٪ و ٤٠ من ثروة مصر وامتيازاتها ؟

( ) [illegible] « [illegible] » مجلة المجتمع الإسلامي ، عدد ١٥ ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ يونيو سنة ١٩٩٨ م

بل إن أي باحث اجتماعي فضلاً عن « عالم » اجتماع مثل د. سعد إبراهيم يدرك بالأرقام كيف أن أقباط مصر لا يعانون من الهموم الحقيقية والثقيلة للشعب المصري كالأمية والبطالة وسكنى المقابر والعشوائيات وأزمة الزواج لقلة ذات اليد وأزمة الإسكان الخ الخ فأين هي « هموم الأقباط » ؟ ومن هم الذين تطحنهم الهموم ؟

صحيح أن منصفاً لا ينكر « شطارة » الأقباط في الأنشطة الدنيوية والاقتصادية منها على وجه الخصوص لكن مصر وعلماً بمجريات الأمور لا ينكر أثر المعونات الأمريكية والتسهيلات والاختبارات الموجهة للقطاع الخاص في جعل الأقلية قابضة على هذا الحجم من ثروة البلاد لا حباً في سواد عيون الأقباط وإنما لإحداث الخلل والقلق الذي سبق وصنعه الاستعمار في النموذج اللبناني أقلية مارونية مالكة ومسيطرة وأغلبية إسلامية من المحرومين ؟

* وحتى في نسبة الكنائس إلى عدد السكان التي جعلوا منها « سبة » يشوهون بها وجه مصر حكومة وشعباً وكأن مصر ستصير إذا ما جلس أبناؤها النصارى في كنائسهم يصلون مع أن عمرو بن العاص (٥ ق هـ ٤٣ هـ / ٥٧٤م -٦٦٤م) هو الذي حرر كنائس مصر من الاحتلال البيزنطي لا ليحولها إلى مساجد وإنما ليعيدها إلى أقباط مصر وهو الذي حال بين المسيحية المصرية وبين الفناء المحقق ومن بعده

أنجبت مصر إمام الفقهاء الليث بن سعد (٩٤-١٧٥هـ / ٧١٣-٧٩١م) الذي أفتى « بأن بناء الكنائس من عمارة البلاد » كما أنجبت جمال عبد الناصر (١٣٣٦هـ - ١٣٩٠هـ / ١٩١٨م - ١٩٧٠م) الذي أسهم وشارك في إقامة صرح الكاتدرائية المرقصية التي تُرى ساريتها من أعلى أنحاء القاهرة وأنجبت حسني مبارك ، الذي شهد عهده موجة من بناء الكنائس غير مسبوقة في عقود القرن العشرين

مصر هذه بسورها نعمة من قباط مصر وبلوني الصيبوني في أمريكا ، وبتحالف مسيحي في الكونجرس الأمريكي وبعد الرشيد وجميع الذين بحثوا الكذب في موضوع الأقليات مصدر النسخت الذي يرتزقون منه وصدق الله العظيم ، يقول ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾

مصر هذه ، تقول الإحصاءات إن فيها كنيسة لكل ١٢٥٠ مصري وفيها مسجد لكل ٢٢٠ مسلم[2] فأين هي المقرفة؟ وأين هي « الهموم » ؟!

---

١ الواقعة ٨٢

٢ صحيفة « الدستور » عدد ٨ يوليو سنة ١٩٩٠م و [illegible]

، [illegible] ص٢٠٢ طبعة القاهرة

إن أمن وأمان الوطن ، بجميع أبنائه ، هما في الاحتفاظ بهويته الوطنية والقومية والحضارية المستقلة ، تلك التي حدد الدستور أنها في مصر - هي الإسلام ، فالإسلام للمؤمنين به هو عقيدة وهوية حضارية وتاريخ قومي وانتماء ثقافي ، وهو بالنسبة لنصارى مصر هوية حضارية ، وتاريخ قومي وانتماء ثقافي . وإذا كانت منظومة القيم هي الجامع الوطني الأول في بلد متدين كمصر ، فإن هذه المنظومة القيمية واحدة في النصرانية والإسلام ، فالحلال والحرام فيهما منطقة اشتراك ، وصورة سيدة نساء العالمين مريم العذراء ، عليها السلام ، هي صورة الحشمة الإسلامية والحجاب الإسلامي وقيم العرض والشرف والأمانة والصدق وحب الوطن . كما حددها دين الله الواحد ، لا تختلف في شريعة عيسى عليه السلام ، عنها في شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه الصلاة والسلام . فعلاقة المسجد الحق بالكنيسة الحقة هي عروة وثقى ، وهما معاً على خلاف وشقاق مع اللادينية العلمانية ، التي يتأخر نفر من ضحاياها بورقة الأقباط وعموم الأقليات . فالأمن الحقيقي للكنيسة الوطنية لا يتحقق إلا في مشروع المسجد الوطني المعتدل ، ومنظومة القيم الإيمانية المسيحية الإسلامية - هي المظلة الحامية للإسلام والمسيحية في مواجهة التحديات الاستعمارية اللادينية الطامعة في استقلالنا المحتقرة لتديننا إسلامياً كان هذا التدين أو نصرانياً .

فهل يعي العقلاء حقيقة الواقع ومخاطر التحديات ومقاصد العملاء ؟

هذا بلاغ للناس يتوجه به إلى كل ركاب سفينة الوطن
الذين لا مكان لهم خارج هذا الوطن المقدس ما دعاه الفتنة
والشقاق فمع الدعاء لهم بالهداية والرشاد نتمنى أن يعي
إخواننا الأقباط مخاطر فتنتهم على الوطن الجامع لجميعنا
بل وعلى نصرانية ونصارى هذا الوطن مع الإسلام والمسلمين
فيه

التوتر الطائفي ..لماذا ؟ ومتى ؟؟

هل يمكن تعريف [illegible] وحتى نحكم [illegible] على [illegible] بـ « التوتر » ؟

[illegible] مثل شعبي يقول « [illegible] في بعض [illegible] عندي في حساب بعد [illegible] لا يقرر من [illegible] أنه قصر [illegible] ويتدفع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مثل أنه لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

والسنة الإلهية التي لا تبديل لها ولا تحويل هي التعددية والتمايز والتنوع والاختلاف، في الشعوب والقبائل، وفي الألسنة واللغات ومن ثم القوميات، وفي الشرائع والملل والديانات، وفي المناهج، أي الثقافات والحضارات.. فالناس لا يزالون مختلفين، لأن سعيهم شتى، ولكل منهم وجهة هو موليها.

في أمة، كالأمة الإسلامية، اعتمدت ثقافتها التعددية، ومن ثم تميزت حضارتها ومجتمعاتها، عبر تاريخها الطويل، بإفساح مبادئ الحرية أمام كل العقائد والمذاهب، حتى بعد جعلت تمكين غير المسلمين من حرية الاعتقاد والإعلان عن هذا الاعتقاد، الرافض للإسلام والكافر به والمنكر لأسسه وأركانه والجاحد لمميزاته، والممارسة لشعائر هذا الاعتقاد، فردياً ومؤسسياً، جعلت هذه الثقافة والحضارة الإسلامية من الاعتراف بهذا التنوع والاختلاف والحفاظ على وجوده والتمكين لمقتضياته جزءاً من الإيمان الإسلامي، لا يكتمل بدونه هذا الإيمان في حضارة كهذه، وشعوب أمة كهذه الأمة، عاشت فيها أقدم الكنائس وأعرقها، وكل الديانات السماوية والوضعية، من لهم كتاب ومن لهم شبه كتاب، هل يتصور عاقل، أو حتى يحلم حالم، أن يخلو جنباتها في أوطانها المتعددة، وشعوبها المتنوعة، وتاريخها الطويل، من التوترات الطائفية والدينية أو المنازعات القومية والاجتماعية؟

إن نفي التوترات والمنازعات في مجتمع متعدد الديانات والمذاهب والمصالح، هو حلم مستحيل التحقيق، بل هو حلم

بالسكون والموت لا علاقة له بمجتمعات ووقع الحياة والأحياء.

لذلك كان الواجب هو البحث عن أسباب التوتر الطائفي لتخفيض درجة حرارتها وحدتها، والابتعاد بها عن درجة الصراع المدمر لسفينة الوطن التي تجمع وتقل الجميع والوقوف بهذه التمايزات والاختلافات عند إطار التنافس والتسابق والحراك الذي يولد الحيوية الاجتماعية والفكرية، في إطار وحدة السفينة الوطن وإقلاعها المتوازن وسط الأعاصير والمخاطر والأنواء.

وإذا كان الوعي بالتاريخ الذي شهد العديد من هذه التوترات الطائفية هو المدرسة التي تتعلم فيها ومنها الأسباب الحقيقية لهذه التوترات والطريقة المثلى لمعالجة حدتها والابتعاد بها عن الصراعات المدمرة فإن مهمة هذه الدراسة هي الوعي بأسباب التوترات الطائفية في تاريخ مصر على وجه الخصوص والمجتمعات الإسلامية بوجه عام ولما كانت الخطاب التوتر تشيع فيها الشكوك حول مقاصد الذين يستدعون دروس ووقائع التاريخ بسبب «التصنيف» للهويات الدينية لهؤلاء الباحثين فستعمد هذه الدراسة إلى المصادر غير الإسلامية والرؤى المسيحية تحديداً في تحليل أسباب هذه التوترات فوقائع تاريخ هذه التوترات الطائفية قد سجلها مؤرخو تلك العصور وستعمد لأوثق مصادر ذلك التاريخ ما يحضر

[illegible] مستمسكم [illegible] غير [illegible]
كي لا يكون [illegible] للإسلام و [illegible] في [illegible]
[illegible]!

وشهد شهود من أهلها

في [illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible] فقط [illegible] الإسلامي [illegible] قد [illegible]
[illegible] في [illegible] و [illegible]
[illegible] في هذه [illegible]
[illegible] على [illegible]
في [illegible] على [illegible]
مستشرق [illegible]
[illegible] هو « [illegible] » [illegible]
« إنه من الحق أن نقول إن غير المسلمين قد نعموا
بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي ، بدرجة من
التسامح لا نجد معادلاً لها في أوروبا قبل الأزمنة
الحديثة [illegible] الطوائف المسيحية في وسط
إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها
بين الحين والآخر على أيدي المتزمتين والمتعصبين
كانت من صنع الظروف المحلية أكثر مما كانت عاقبة
مبادئ التعصب وعدم التسامح »

[illegible] ص ٢٢٩ [illegible] سنة ١٩٧ م

[illegible] المستشرق الحجة المؤمن بالنصرانية [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

من إن أوروبا النصرانية قد ضاق صدرها حتى بالتعددية المذهبية في إطار النصرانية ، فشهدت أكثر من عشرة حروب دينية بين المذاهب النصرانية ، امتدت قرابة ثلاثة أرباع القرن (١٥٦٢-١٦٢٩ م) بين الكاثوليك والبروتستانت - ومن أشهرها حروب (١٥٦٢-١٥٦٣م) و (١٥٦٧-١٥٦٨م) و (١٥٦٩-١٥٧٠م) و (١٥٧٢-١٥٧٣م) و (١٥٧٤-١٥٧٦م) و (١٥٧٦-١٥٧٧م) و (١٥٨٠م) و (١٥٨٥-١٥٩٤م) و (١٥٨٦م) و (١٦٢١م) و (١٦٢٥-١٦٢٩ م)

ولقد أبيد في هذه الحروب الدينية ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا ؟ !

أما هذه « الظروف المحلية » ، التي قال « أرنولد » إنها المسئولة وليس الإسلام عن التوترات الطائفية العارضة التي عرفتها حياة الأقليات غير المسلمة في المجتمعات الإسلامية والتي قام بها المتزمتون والمتعصبون ، فإن باحثاً نصرانياً آخر هو المؤرخ والمفكر اللبناني « جورج فرم » يرجعها إلى ثلاثة أسباب

١ - المزاج الشخصي المختل لبعض الحكام المسلمين

٢ - والظلم والاستعلاء والاستغلال الذي مارسته الزعامات والقيادات النصرانية ، عندما تحولت من خلال جهاز الدولة الذي كان في قبضتها - إلى سوط عذاب يلهب ظهور الأغلبية المسلمة ، الأمر الذي جلب على طوائفها غضب العامة وعنف الغوغاء والسفهاء

---

(١) بطرس البستاني « دائرة المعارف » مادة « الحروب الدينية »

٣ ووقوع هذه الطوائف النصرانية أحيانا وخاصة المتدينة بمذهب الكنائس العربية في شرك الإغراء الاستعماري بين الحملات الاستعمارية الصليبية والتبشيرية والحديثة على البلاد الإسلامية ، الأمر الذي جلب ردود الفعل على هذه الحملات الوطنية فعمت بلواها على الجميع

يرصد « جورج قرم » هذه الأسباب الثلاثة للتوتر الطائفي في التاريخ الإسلامي ، محملا المسئولية عن أغلبها لأبناء دينه فيقول

« ويلاحظ أن فترات التوتر أو الاضطهاد لغير المسلمين في الحضارة الإسلامية كانت قصيرة ، وكان يحكمها ثلاثة عوامل :

العامل الأول هو مزاج الخلفاء الشخصي ، فأخطر اضطهادين تعرض لهما الذميون وقعا في عهد المتوكل ، الخليفة الميال بطبعه إلى التعصب والقسوة وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذي غالى في التصرف معهم بشدة

العامل الثاني هو تردي الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية لسواد المسلمين ، والظلم الذي يمارسه بعض الذميين المعتلين مناصب إدارية عالية ، فلا يتعذر أن تدرك صلتهما المباشرة بالاضطهادات التي وقعت في عدد من الأمصار .

أن العنصر الثالث فهو مرتبط بكثرت تدخل الأجنبي في البلدان الإسلامية ، وقيام الحكم الأجنبي بإغراء وستدرج الأقليات الدينية غير المسلمة إلى التعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة ,ن الحكام الأجانب بمن فيهم الإنجليز لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية في أغلب الأحيان ليحكمو الشعب ويستنزفوه لمصلحتهم وهذه الظاهرة نلاحظها في سوريا أيضاً ، حيث أظهرت أبحاث « جب » و « بوين » كيف أن هيمنة أبناء الأقليات في العصر الاقتصادي أدت إلى ثورة فلاحين دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين في دمشق سنة ١٨٦٠م وبين الموارنة والدروز في جبل لبنان ١٨٤٠م و ١٨٦٠م وبهية الحملات الصليبية قد اعقبتها في أماكن عديدة ، أعمال ثأر وانتقام ضد الأقليات المسيحية ولا سيما الأرمن التي تعاونت مع الغزاة .

بل إنه كثيراً ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسهم من الحكم الإسلامي ، حتى عندما كان يعاملهم بأكثر قدر من التسامح ، سبباً في نشوب قلاقل داخلية ، فعلاوة على عدم الوثوق بهم في الأزمات وفي مراعاتهم وتحيزهم ، إلى حد الصداقة أحياناً لأعداء دينهم ، ما كان يمكن أن تصدر منهم

استقرارات طائفية بكل معنى الكلمة .

فأسباب التوتر الطائفي في الحضارة الإسلامية والتاريخ الاجتماعي الإسلامي كما يستقرئها « جورج قرم » هي المزاج الشخصي العنيف للحاكم من الحكام أو ضعف وصفاقة واستعلاء واستغلال الوزراء والجناة النصارى لعامة الأغلبية الإسلامية الفقيرة أو وقوع قطاعات من الأقليات النصرانية في شراك الخيانة الوطنية التي تضللها بها وتغريها بها القوى الاستعمارية الغازية لديار المسلمين .

شهادة التاريخ على صدق التحليل .

وحتى يدرك القارئ المعاصر أن هذا التحليل الذي قدمه « جورج قرم » إنما هو ثمرة للاستقراء الأمين لمجمل مسيرة التاريخ الإسلامي ، فإننا نقدم من أوثق المصادر التاريخية النماذج الشاهدة على عمق وصدق هذا التحليل

* فالاضطهاد الذي أصاب غير المسلمين في عصر المتوكل العباسي (٢٣٣ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م) لم يكن خاصاً بغير المسلمين ، ذلك أن شذوذ هذا الحاكم قد عمم تعصبه ليشمل

---

(١) « تعدد الأديان ونظم الحكم دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة » ص ٢١١ - ٢٢٤ طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م وينقل عن د. سعد الدين إبراهيم « النيل والنخل والأعراق » ص ٧٢٩ - ٧٣ طبعة القاهرة سنة ٩٩ م

بكثير من تيارات الفكر الإسلامي أيضاً. فلقد اضطهد الشيعة حتى هدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب، وحرث مكانه وحوله إلى أرض زراعية، واضطهد المعتزلة حتى لقد أسقط شهادتهم أمام القضاء، وتفاهم إلى جزيرة «ذهب» جنوبي البحر الأحمر، وهو منفى كان يضرب به المثل في البعد وسوء المناخ.

فلم يكن الاضطهاد - في عصر المتوكل - وقفاً على غير المسلمين، ولا خاصاً بالنصارى.

* وكذلك كان الحال مع التوتر الطائفي والاضطهاد الديني الذي شهده عصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٧٥ - ٤١٠هـ / ٩٨٥ - ١٠٢٠م). فلقد عم هذا الاضطهاد كل الشعب المصري الذي ظل على مذهبه السني رغم حكم الدولة الشيعية الإسماعيلية الباطنية. فلقد أصدر الحاكم بأمر الله مراسيم اضطهاد أهل السنة، وسبّ كبار الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وغيرهم سنة ٣٩٥هـ / سنة ١٠٠٥م. أي قبل اضطهاده النصارى بخمس سنوات. بل وكتب سبّ الصحابة بالذهب والأصباغ على لوحات علقت على المساجد والمقابر والدور والحوانيت.

أما مراسيم اضطهاده للنصارى، وهدم عدد من كنائسهم سنة ٤٠٠هـ / سنة ١٠٠٩م، فإنها نموذج لاحتماء عامل الفرق الشخصي مع عامل ردّ الفعل على الجبر والاستعلاء واستغلال زعماء النصارى إزاء الأغلبية المسلمة. فالدولة الفاطمية كانت

يتذهب بالعلو الشعبي الفاطمي وتخالف عقيدة الشعب المصري ولذلك لجأت كالاستعمار للاستعانة بجهاز الدولة وحماية الضرائب والخراج والمكوس إلى الاقليات ليكونوا بيت القهر والاستغلال للشعب المصري فولى الوزارة في عهد هذه الدولة من النصارى عيسى بن نسطورس وفهد بن إبراهيم الذي كان يلقب بالرئيس ومنصور بن عبدون الذي كان يلقب بالكافي وزرعة بن نسطورس الذي كان يلقب بالشافي ووليها من اليهود منشا بن إبراهيم الفرار ويعقوب بن كلس

ومع سيطرة هؤلاء على جهاز الدولة ، واستبدادهم بثروات الشعب ، كان نفوذ زوجة الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٤٤-٣٨٦هـ / ٩٥٥-٩٩٦م) الذي تزوج من مسيحية ملكانية ، تولى أخوها « أرسانيوس » بطريركية القاهرة سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م ، ثم بطريركية الإسكندرية سنة ٣٩٠هـ / سنة ١٠٠٠م كما تولى أخوها الثاني بطريركية الملكانيين في القدس سنة ٣٧٥هـ/سنة ٩٨٥م وكان لهذه الزوجة ، ولابنتها « ست الملك » ، نفوذ طاغ على الخليفة ، طبع المناخ الذي ولد فيه ونشأ الحاكم بأمر الله ابن العزيز بالله الأمر الذي جعل موقفه من النصارى ردّ فعل انقلابي على هذا النفوذ الطاغي الذي مارسه رؤساء النصارى ضد عامة المسلمين

وحتى نزل بغداد الحق الحقيقي الذي تحتاجه
أمتنا تحتاج مستوحى مستمد من القصة والبطولة
والتضحية والفداء يكفي أن نعلم أن هذه القصة
قد صنعت حتى مقاومة الأمة بأسرها وعرضت على
نظم شعر في ذلك الوقت

وقد استخدم سعد ظاهر هذا الشعر في مسرحيته هذه
الاستخدام الصحيح، فجعله مثلاً عن واقع الإنسان يعيشه
بتحيفه معرضة قلب شكاة من شكايات المستضعفين
سعيش الذي يبحث في محاكاة صوره الإنسان الحقيقي
المصنوع في طريق حسنة ظاهر بأنه قد تناول حلقة
تاريخية في حياة «المنصور» قد كشف فيه عن دلالي أعمق
يهدف تعيش، وتصادى تاريخي من مستوى،
وأن المستمعين لك لا كشفت ملامتي ؟ ؟ ؟

هذا الشعر، قد قاله في وصف قد الاستبداد العباسي
فقال الحسن بن بشر الدمشقي

تَنَصَّرْه فالتنصُّر دين حـــق
عيـــه رغبت فـــي بـــدن
وقُل ثلاثة عزُّوا وجـــلُّوا
وعطِّل ما سواهم فهو عطـــــل
فيعقوب الوزير أب، وهـذا
عزيز بن، وروح القدس فضل !

وقال شاعر آخر في مستوى دينية بالأقنعة تصلح فيه
وسيدانه الأدبي

إذا حكم النصارى في الفروج
وغالوا في البغال وفي السروج
وذلت دولة الإسلام طـــرا
وصار الأمر في أيدي العلـــوج
فقل للأعور الدجال هـــذا
زمانك إن عزمت على الخروج !.

[illegible] يقول الشاعر المصري الحسن بن خاقان

يهود هذا الزمان قد بلغـــوا
غاية آمالهم وقد ملكـــــوا
لعز فيهم والمال عندهمـــو
ومنهم المستشار و [illegible]
يا أهل مصر إني نصحت لكم
تهوّدوا ، قد تهوّد الفلك ! (1)

[illegible]

(1) المقريزي [illegible] ٢٩٨ [illegible] ٢٣ [illegible] ١١٧، ١١٨ طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

أن يقرأ للمستشرق الألماني الحجة « آدم متز » هذه العبارة الجامعة التي قال فيها « لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام »! (١).

هذا عن دور العامل الثاني استنداد الأقلية بالأغلبية في إثارة التوترات الطائفية

* أما العامل الثالث في أسباب التوترات الطائفية - الذي حدده « جورج فرم » وهو موالاة الغزاة إبان فترات اجتياح الاستعمار التتري والصليبي والحديث - لبلاد الإسلام فإن وقائع التاريخ في أوثق مصادره شاهدة على أن التوترات الطائفية إنما جاءت رد فعل انتقامي لهذه الخيانات الوطنية، التي دفعت قلة من النصارى إلى الاحتماء بالأجنبي فكان رد الفعل الذي غالباً ما يعمم الانتقام وفق قاعدة ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ (٢)

فعندما تحالف الصليبيون مع الوثنية التترية ضد الإسلام وأمته ووطنه ودولته واستخدموا في إقامة هذا التحالف الأقلية النصرانية النسطورية في بلاد التتر وإحدى زوجات الخان التتري المسيحية النسطورية فجاء الاجتياح التتري للمشرق العربي بقيادة القائد المسيحي النسطوري « كيتبغا »

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢

(٢) الأنفال ٢٥

قسمت غوغاء نصارى دمشق فتحدروا إلى سلطة التتر وتغلبوا على مواطنيهم المسلمين ونصف المقريزي (٧٦٦-٨٤٥هـ / ١٣٦٥-١٤٤٠م) وهو عمدة مؤرخي العصر هذا الاستعلاء والاستقرار النصراني في دمشق فيقول:

« واستطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرماناً من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، وصبّوه على أبواب المساجد، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب وصاروا يمرون به في الشوارع إلى كنيسة مريم، ويقفون له ويخطبون في الثناء على دينهم وقالوا جهراً «ظهر الدين الصحيح، دين المسيح» وخرّبوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو - وهو كتبغا - فأهانهم وضرب بعضهم وعظم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم وأقام شعارهم »[1]

وأمام عنف الجباية والاحتفاء بالأجنبي المستعمر جاء عنف الانتقام فتمخض الانتصار الإسلامي على التتر في

(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢ ص ٤٣٥-٤٣٢، طبعة القاهرة ١٩٥٦م

« عين جالوت » (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) وعنده وصل إلى دمشق كتاب السلطان قطز (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) ينشرهم [illegible] الانتصار ، ويفتح [illegible] ، وجلالة النصر ، سر الناس [illegible] كثيراً ، وبادروا إلى دور النصارى فنهبوها ، وخرّبوا ما قدروا على تخريبه ! »[1].

فالوقوع في شراك الغواية الاستعمارية والاحتماء بالغزاة ، سبب أساسي من أسباب التوترات الطائفية في تاريخ المجتمعات الإسلامية .

ولقد تكرر هذا المشهد في تاريخنا الوطني عدة مرات ومنها ما صنعه بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١م) إبان الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣هـ / ١٧٩٨م) فلقد أعلن بونابرت ، وهو في الطريق إلى بلادنا ، عزمه على تجنيد عشرين ألفاً من أبناء الأقليات في الشرق ، ليتخذ منهم قبضة ضاربة ، وقفازاً محلياً ، وموطئ قدم لحملته الاستعمارية وحلمه الإمبراطوري ولقد نجح في إغواء قلة - سماها الجبرتي (١١٦٧-١٢٣٧هـ / ١٧٥٤-١٨٢٢م) مؤرخ العصر « أراذل القبط » ، خرجوا على كنيستهم الوطنية ، وشعبهم المصري ، وقادهم المعلم يعقوب حنا (١٧٤٥-١٨٠١م) الذي سماه الجبرتي - « يعقوب اللعين » !! فاشتركوا مع جيش فرنسا -

---

١ المصدر السابق جـ١ ق٢ ص٣٢ .

في احتلال القرى ، وحرقها ونهبها وخاصة في الصعيد - وجعل لهم بونابرت نصف عضوية « ديوان المشورة » والسلطة الفعلية في الجهاز المالي والإداري وبعبارة الجبرتي فلقد فوض الجنرال كليبر (١٧٥٣ - ١٨٠٠) للجنرال يعقوب « أن يفعل بالمسلمين ما يشاء حتى تطاولت النصارى - من القبط ونصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب ، ونالوا منهم أغراضهم ، وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكاناً ! وصرحوا بانقضاء مدة المسلمين وأيام الموحدين »[1]

ورغم أن المسلمين قد رفضوا أحد الأغلبية النصرانية الوطنية بجريرة هذه القلة الخائنة ، بل وصدرت المنشورات في مختلف أقاليم مصر تحذر من الانتقام ، إلا أن هذه القلة الخائنة ، إلا أن ترحل في ركاب جيش الحملة الفرنسية لتسعى لدى الحكومة الفرنسية وأنصار الانجليزية لتغريب مصر ، وفصلها عن محيطها الإسلامي ، وتراثها الحضاري الإسلامي ، لتكون مواليه للغرب بدلا من الشرق الإسلامي ولتصبح شرائعها ونظمها فرنسية ، بل ولتكون أداة لاختراق الفرنسي لقلب أفريقيا بواسطة الكنيسة المصرية ، التي أرادوا

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، جـ٥ ص ٣٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥ .

توظيفها في خدمة المشروع الاستعماري وإخراجها عن موقفها الوطني التاريخي [1]

ومنذ ذلك التاريخ، تمايزت في صفوف الأقليات - الدينية والقومية - المواقف والاتجاهات

* فالأكثرية الساحقة تقف مع الأغلبية المسلمة في خندق الوطنية المصرية والقومية العربية والحضارة الإسلامية

* والقلة العميلة - أو المخدوعة - تراهن على الأجنبي - حماية وثقافة - فتجلب على غيرها هذه التوترات الطائفية التي تظهر وتختفي، وتشتد وتضعف بمقدار العداوة الاستعمارية لنفر من أبناء هذه الأقليات

تلك هي قصة أمتنا وحضارتنا مع التوترات الطائفية كما رصدها المفكرون والباحثون غير المسلمين وكما وردت وقائعها في أمهات مصادر التاريخ

فهل نتأمل جميعاً دروس وعبر هذه الصفحات من تاريخنا لنحمي جميعاً مسلمين ونصارى هذه السفينة الوطن الذي لا مكان لأي منا خارج ترابه الطاهر ولا مستقبل لأي منا إذا تم اختراقه بواسطة العملاء والدهماء ؟

إننا نتصور ونذكر فالذكرى لابد وأن تنفع كل المؤمنين

---

[1] د. أحمد حسين الصاوي، المعلم المعقود بين الحقيقة والأسطورة ص ١٢٣-١٢٥، ١٢٩، ١٣٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦ م

المسلمون والآخر

من يعترف بمن ؟ ..

ومن يستأصل من ؟؟

المسلمون وأحباب الإسلام متهمون في الكثير من دوائر الفكر الغربي وكل دوائر الفكر العلماني بالتعصب المقيت وإنكار الآخر وتكفير الآخرين ولقد شاعت وتتسع هذه الاتهامات على ألسنة وأقلام غلاة العلمانيين في بلاد الإسلام تستوي في ذلك المسلمون وغير المسلمين من هؤلاء العلمانيين

وإذا كان تحرير وتحديد مفاهيم المصطلحات هو الطريق الأمن لأي حوار حقيقي، فسنبدأ بتحرير مصطلح «التكفير»

* إن الكفر هو نقيض الإيمان، فكل مؤمن بشيء هو بالضرورة كافر وجاحد ومنكر لنقيض هذا الشيء، فالمؤمن بالتثليث كافر بالتوحيد، والمؤمن بالتوحيد كافر ومنكر للتثليث، والمؤمن بأن عزيرا «عزر» عند الله كافر ومنكر لعقيدة أن عزيرا ابن الله، والعكس صحيح، والمنكر لكون القرآن وحيا إلهيا ومحمدا ﷺ نبيا ورسولا هو بالضرورة كافر بالإسلام دينا سماويا، وكذلك الحال في ميدان المذاهب والفلسفات و«الأيديولوجيات»، فالمؤمن بالفاشية وأنها كافر بالديمقراطية، والعكس صحيح، والمؤمن بالشيوعية كافر بالليبرالية الرأسمالية، والعكس صحيح، فكل مؤمن بشيء هو كافر بنقيضه، فالكفر ليس سبة ولا نقيصة بإطلاق وتعميم، ولكن المعيار فيه هو كفر بماذا؟ وكذلك الإيمان ليس ميزة وإيجابية بإطلاق وتعميم، وإنما العبرة فيه هو الإيمان بماذا؟

ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة التي يجهلها البعض ويتجاهلها الكثيرون، عندما صور الإيمان والكفر وجهين لعملة واحدة فقال: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله

سميع عليم ﴾[1]

فأين هي التهمة [illegible] في أن يصنف المسلمون من يكفرون بالإسلام والقرآن ورسول الإسلام في عداد الكافرين ؟ ولا يصنف المؤمنون بالتثليث هل التوحيد في عداد الكافرين بهذا التثليث ؟ [illegible] ولا يعتبر مذهب [illegible] الكبرى «الأرثوذكسية» و«الكاثوليكية» و«البروتستانتية» [illegible] في «قانون إيمانها» كافر بهذا القانون داخلاً في [illegible] الديني» الذي هو الكفر والتكفير ؟ .

تلك هي حقيقة [illegible] والافتراء [illegible] الفكر العلماني والإعلام العالمي الإسلام والمسلمين !

* أما تهمة «إنكار الآخر» التي شاع وتشيع اتهام المسلمين بها فإنها تعني إنكار حق الآخر في الوجود [illegible] استئصاله أو على الأقل «استثنائه» من المشاركة في العمل العام وهذا يرد التساؤل [illegible] الإنكاري [illegible] من في الواقع المعاصر [illegible] هو الذي ينكر الآخر ومن الذي يستأصل الآخر ويستثنيه ؟

إن واقع [illegible] المعاصر يقول [illegible] «إن المسلمين هم ضد الإنكار والاستثناء والاستئصال فكثير من البلاد الإسلامية التي أخذت بالتعددية الحزبية تسمح بكل الأحزاب التي تمثل كل الأيديولوجيات [illegible]

---

(1) البقرة ٢٠٦

يستثني الإسلاميين ، الذين ينطلقون من الدعوة إلى الشريعة الإسلامية وإسلامية الدولة والقانون والاجتماع وكثير من المؤسسات الثقافية والفكرية ، التي يقبض على زمامها العلمانيون ، نجد فيها كل ألوان الطيف الفكري والفلسفي والأيديولوجي ، بينما الاستثناء والإقصاء والاستئصال خاص بالإسلاميين ومرجعيه وأيديولوجية الإسلام . وكل الدول الديمقراطية في الغرب الديمقراطي ترضى عن نتائج الانتخابات في العالم الإسلامي يمينًا كانت أو يسارًا توجهات الفائزين في هذه الانتخابات ، اللهم إلا إذا جاءت صناديق الاقتراع بالإسلام والإسلاميين فهنا يصل الإنكار والاستئصال والإقصاء إلى حد تأييد الديمقراطية الغربية للانقلابات الفاشستية على إرادة الشعب والانتخابات الديمقراطية .

وكذلك الحال مع الحق الفطري والديمقراطي في « تقرير المصير » فهو مطلب ديمقراطي يسعى إليه الغرب الديمقراطي بل ويفرضه أحيانًا كما حدث في « تيمور الشرقية » وسكانها أقل من مليون . لكن هذا الغرب الديمقراطي يستثني الشعوب المسلمة من الحق الطبيعي والديمقراطي في « تقرير المصير » وشواهد هذا الاستثناء والإقصاء تغطي خريطة المعمورة من كشمير إلى الفلبين إلى بورما إلى البوسنة ، وكوسوفا وحتى فلسطين . ومثل ذلك يحدث على جبهة حقوق الإنسان . فمن حق كل إنسان وشعب وأمة أن يختار القانون الذي يحكم حياته . اللهم إلا إذا كان هذا

القانون هو الشريعة الإسلامية فهل يصبح هذا الحق الطبيعي في نظر الديمقراطية الغربية والحرية السياسية تطرفاً وتشدداً ورجعية و « أصولية مردولة » بل وانقلاباً على حقوق الإنسان ؟ ".

***

وأمام هذا النفاق الغربي والعلماني - الذي يفوق على نفاق زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول - لابد أن نتساءل: ماذا هذا الإنكار والجحود والاستثناء والإقصاء للإسلام والإسلاميين والمسلمين ؟ وهل هذا الموقف حديث ؟ ونابع من الأطماع الاستعمارية الحديثة والمعاصرة في بلاد المسلمين ؟ أم أن لهذا الموقف جذوره في الثقافة الغربية تجاه الآخر عموماً وخاصة إذا كان هذا الآخر هو الإسلام والمسلمون ؟

العالم في الصورة الإسلامية

إن دراسة هذه القضية المشكلة في الثقافة الغربية ، تقتضي رؤيتها مقارنة بالرؤية الإسلامية للآخر لا مجرد مقارنة وإنما ليعرف الناس من ينكر من ؟ ومن هو الذي يعترف ويتعايش مع كل الآخرين ؟ ومن الذي يجحد ويسعى لاستئصال كل الآخرين ؟

إن الرؤية الإسلامية - الفكرية والعقدية والتي تجسدت في تاريخنا الحضاري - ترى أن الأصل والسنة والقانون ، هو التنوع والتمايز والاختلاف

فالواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية ، ومن عدا وما عدا الذات الإلهية يقوم على التعدد والاختلاف ذلك هو القانون التكويني الذي يسود ويحكم كل عوالم المخلوقات في الإنسان والحيوان والنبات والجماد ، وفي الأفكار والفلسفات والأيديولوجيات

* لقد بدأت الإنسانية أمة جماعة واحدة ، ثم صارت شعوبا وقبائل ، ليتم بينها التسابق والتدافع والتعارف ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾[1]

وهذه التعددية هي سنة كونية وآية من آيات الله سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾[2]

* ومع سنة وقانون التعددية في الشعوب والأمم والقبائل ترى الصورة الإسلامية للعالم أن الأصل هو النوع الإنساني في الألسنة والنبعات ومن ثم في القوميات وكذلك في الأجناس

---

(١) البقرة ٢١٣

(٢) الحجرات ١٣

والألوان. وهو تنوع يتبع مرتبة «الآية» من آيات الله ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾

* ومع التعدد والتنوع والاختلاف في الشعوب والأمم والجماعات وفي اللغات والقوميات وفي الأجناس والألوان هيئات قانون وسنة وآية التنوع في الشرائع والسنن الدينية وفي المناهج والثقافات والحضارات ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[2]

فالناس سعيهم شتى ﴿إن سعيكم لشتى﴾[3] ﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﴾

وهذه الصورة الإسلامية الموجودة العوالمية المختلفة والقائمة على التنوع والتعدد والاختلاف والتعايش والتعارف لم تقف عند الموقف النظري الذي يعترف بالآخر على مضض والذي

---

(١) الروم ٢٢

(٢) المائدة ٤٨

(٣) الليل ٤

(٤) البقرة ١٤٨

تضيق بواقع التعدد والاختلاف مع التسليم بواقعه ووجوده وإنما تبلغ هذه الصورة في التحضر والرقي أحد العدل والإنصاف بهذا الآخر، على اختلاف ألوان هذا الآخر.

فعلى حين يقف إيمان اليهود عند اليهودية وحدها مع إنكار وتكفير الآخرين، وعلى حين تصنع مذاهب النصرانية ذلك مع كل الآخرين ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ﴾[1] يتفرد الإسلام والمسلمون بالاعتراف بكل الشرائع والملل وجميع النبوات والرسالات وسائر الكتب والصحف والألواح التي مثلت وحي السماء إلى جميع الأنبياء والرسل، منذ فجر الرسالات وحتى ختام هذه الرسالات وفوق هذا الاعتراف هيئات القداسة والتقديس والعصمة والإجلال لكل الرسل وجميع الرسالات ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾[2]

فقانون الإيمان لدى كل ملة غير ملة الإسلام لا «يكتمل» إلا بإنكار كل الآخرين وتكفيرهم، والإيمان الإسلامي وحده هو الذي لا يكتمل إلا إذا من أصحابه بكل النبوات والرسالات وكتب وشرائع هذه

---

(١) البقرة ٩١

(٢) البقرة ٢٨٥

النبوات والرسالات بل ولا يكتمل هذا الإيمان الإسلامي إلا إذا مكّن المسلمون أهل تلك الشرائع والملل من إقامة عقائدهم ، المخالفة للإسلام بل والتي تنكر وتجحد هذا الإسلام "

وما على الذين يريدون المقارنة بين صورة الآخر في الثقافة الإسلامية والعقيدة الإسلامية ، والوجدان الإسلامي ليدركوا هول البون الشاسع والتناقض الفاحش بين هذه الصورة وبين صورة الإسلام والمسلمين في ثقافة الآخر غير المسلم ما على هؤلاء إلا أن ينظروا إلى صورة الآخر في ثقافة الإسلام والمسلمين

* فصورة موسى عليه الصلاة والسلام وأخيه هارون عليه السلام في الثقافة الإسلامية التي صاغها وصنعها القرآن الكريم هي صورة حبيب الله ، الذي صنعه الله على عينه ، واستخلصه لنفسه وجعله كليمه واستجاب دعاءه ، وسلّم عليه وجعله القوي الأمين وآتاه الكتاب والفرقان والسلطان وصورة هذا الكتاب التوراة في القرآن هي صورة الإمام والرحمة والهدى والنور ﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾[1] ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً ﴾[2]

---

(1) طه ٣٩ (2) مريم ٥١، ٥٢

﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾[1] ﴿ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾[2] ﴿ قال رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيرا من أهلي * هارون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيراً * ونذكرك كثيراً * إنك كنت بنا بصيراً * قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾[3] ﴿ سلام على موسى وهارون * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ ﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾[5] ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾[6]

(1) النساء ١٦٤

(2) الأعراف ١٤٤

(3) طه ٢٥ ٣٦

(4) الصافات ١٢٠ ١٢٢

(5) القصص ٢٦

(6) البقرة ٥٣

﴿وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾ ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين﴾[2]

﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾[3]

﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾[4] ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾[5]

تلك هي الصورة الفريدة التي صنعت وصنعت الثقافة الإسلامية اتجاه أبناء اليهودية وشريعتها وكتابها فهل يستطيع حتى أكثر حاخامات اليهودية تعصباً أو أشد سلبيتها تحرراً أن يجد شيئاً من ذلك، أو شبيهاً بشيء من

---

(1) النساء ٣

(2) الأنبياء ٤٨

(3) الأحقاف ١٢

(4) الأنعام ٩١

(5) آل عمران ٢ ٤

ذلك في تصور اليهود وثقافتهم عن الآخر، وخاصة إذا كان هذا الآخر هو الإسلام والقرآن ورسول المسلمين وأمة الإسلام وحضارتهم؟

إنه سؤال يتحدى أن يكون له عند اليهود جواب

* وكذلك الحال مع صورة الإسلام وثقافة المسلمين عن مريم عليها السلام التي هي في الإسلام سيدة نساء العالمين، التي أحصنت فرجها، وتنزهت عن مطاعن الطاعنين، والتي تقبلها الله بقبول حسن واصطفاها وسيَّدها ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدَّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفَّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[2]

﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾[3]

---

(1) التحريم ٢

(2) آل عمران ٣٧

(3) آل عمران ٤٢

تلك هي صورة مريم في العقيدة والثقافة والحضارة الإسلامية فأين منها صورة في بيت رسول محمد ﷺ وصورة أمهات المؤمنين في الثقافات المصرية على اختلاف المذاهب والعصور والأوطان؟!

إنه سؤال يتحدى أن يجد من ينطق بجواب.

* ونفس الشيء مع صورة عيسى بن مريم، عليهما السلام، في الثقافة الإسلامية إنه نبي مبارك مؤيد بالمعجزات وروح القدس والكتاب والحكمة والمعجزات وهو الذي عليه السلام أنه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾[1] ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾[2] ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾[3]

---

(١) آل عمران ٤٥

(٢) مريم ٣٠-٣٣

(٣) البقرة ٨٧

﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾

﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين * وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكن جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾[1] ﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾[2]

[illegible] هي صورة عيسى [illegible] الذي [illegible] من [illegible] هي صورة محمد [illegible] وقرآنه الكريم في الثقافة [illegible]

---

(١) آل عمران ٤٨.

(٢) المائدة ٤٦-٤٨

(٣) آل عمران ٤٩

النصراني ؟ وهل يرضى النصارى واليهود بتحكيم القرآن كما يدعوهم القرآن إلى تحكيم التوراة والإنجيل ؟ ... يجعلون من أنفسهم « ورقة فيتو » لتحكيم علمانية الغرب بدلا من القرآن »

أسئلة تتحدى وجود من ينطق بجواب !

الصورة الغربية للعالم

وإذا كانت هذه هي الصورة الإسلامية للوجود والعالم التعدد والتنوع والاختلاف والاعتراف بالآخر على النحو الذي كان يشعر الآخر « جزءاً من » الذات » فما هي صورة العالم في الثقافة الغربية وما هي حال الآخر في ثقافة الغرب والمتغربين ؟

* إن نزعة المركزية الغربية قد جعلت الثقافة الغربية السائدة تنكر تنوع العالم إلى حضارات متعددة ومتمايزة ومستقلة في ثقافاتها فزعمت هذه المركزية أن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية وأن العلم والتحضر قد بدأ بالإغريق وانتهى بالنهضة الغربية الحديثة وأن إسهامات الآخرين وخاصة المسلمين لا تعدو أن تكون « إسهامات » ساعي البريد الذي نقل تراث الإغريق إلى أوروبا عصر النهضة والتنوير

وبسبب من هذه النزعة المركزية الغربية ، كان الاستعمار الغربي - وهو يعيد بنية الحضارية والثقافية للشعوب والأمم التي ابتليت بهذا

الاستعمار - يتقمص دور صاحب « الرسالة الحضارية والإنجاز التقدمي » فهو الأقوى والأقوى هو الأصلح والأجدر بالبقاء وفق قاعدة وفلسفة القانون الصراعي الذي طبقه « داروين » (١٨٠٩-١٨٨٢م) في عالم الأحياء . فالطبيعي وفق هذه النزعة المركزية - أن يصرع القوي الضعيف ، وتزيل الحضارة الغازية البنية الموروثة للحضارات المغزوة التراث العالم ، وتصبغه بالتغريب وأخيراً بالعولمة - في قالب حضاري وثقافي وقيمي واحد .

* ولقد ضمن للغرب « راحة الضمير » وهو يمارس هذا العدوان على الآخر الحضاري - وبالذات الآخر الإسلامي ذلك الميراث المشوه والعدائي الذي حفلت به ثقافته التاريخية ، على اختلاف حقولها وميادينها، إزاء الإسلام ومقدساته وأمته وحضارته وهو الميراث الذي لا يزال فاعلاً في الإعلام العربي والتعليم العربي ، ودوائر الفكر والدراسات وعند صناع القرار حتى كتابة هذه السطور .

* ففي الثقافة الشعبية الغربية تتعلم العامة من « ملحمة رولاند » حوالي سنة ١٠٠٠م أن المسلمين يعبدون الثالوث

١ بولين Apollin ٢ وبيرفاجانت Tervagant

٣ ومحمد Mohamet

وأن المسلمين إنما يعظمون يوم الجمعة لأنه يوم إلهة الحب فينوس Venus بينما المسيحيون يعظمون يوم الأحد لأنه يوم الله !

ولقد لعبت هذه الصور التي شاعت في الثقافة الشعبية دورها في تجييش أحقاد العامة والدهماء في الحملات الصليبية ضد الإسلام وعالمه وأمته وحضارته فتحدثت هذه الملحمة « ملحمة رولاند » عن المسلمين فقالت لهؤلاء الدهماء « انظروا إلى هذا الشعب الملعون إنه شعب ملحد ، لا علاقة له بالله وسوف يمحى اسمه من فوق الأرض الزاخرة بالحياة ، لأنه يعبد الأصنام لا يمكن أن يكون له خلاص ، لقد حكم عليه فلنبدأ إذن تنفيذ الحكم باسم الله » ! ثم تبدأ ملاحم القتال الصليبي ، بعد تلاوة هذا الذي جاء في ملحمة رولاند »

* ولم يكن الأمر في دوائر الثقافة اللاهوتية خيراً منه في الثقافة الشعبية فكما يقول أحد العلماء والمفكرين الألمان

« لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمداً - ﷺ - رجلاً عاش حياة داعرة ، وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينالاً كاثوليكياً تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة واعتبرت أوروبا المسيحية ، في القرون الوسطى

محمداً مرتد الأكبر عن المسيحية ، الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية »

وها هو أكبر فلاسفة الكاثوليكية « القديس » توما الأكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤ م) يتحدث عن رسول الإسلام فيصوره بثقافته اللاهوتية بقوله « لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية وحرّف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشين من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية »

أما « مارتن لوثر » (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) رأس البروتستانتية فهو القائل عن القرآن « أي كتاب بغيض وفظيع ومفعول هذا القرآن مليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع »

وهو الذي يصف رسول الإسلام ﷺ بأنه « خادم العاهرات وصائد المومسات » !

كل ذلك يتجيش القساوسة والدهماء في الحرب ضد الأتراك العثمانيين فيقول « على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد حتى يزداد المسيحيون عداوة له وأيضاً ليقوى إيمانهم بالمسيحية ولتتضاعف خسارتهم ونسائهم في الحرب ضد الأتراك - ويضحوا بأموالهم وأنفسهم »

فهل هناك مقارنة بين ثقافة إسلامية لا يكتمل إيمان أهلها إلا بما رأينا من أوصاف قرآنية لموسى وعيسى ومريم ، وبين هذه الثقافة اللاهوتية التي علقت قوة الإيمان بالمسيحية على هذا الذي وصفت به الوحي القرآني ، وبين الإسلام ؟

هل هناك وجه للمقارنة ؟!

* وليس لأحد أن يقول إن هذه الصفحة من صفحات الثقافة اللاهوتية الغربية قد طويت وانقضت ففي مؤتمر « كولورادو » الذي انعقد بأمريكا سنة ١٩٠٨م [illegible] عن ضرورة اختراق الإسلام [illegible] الثقافة الإسلامية [illegible] في الشرق الإسلامي ، والعمالة [illegible] المدنية الأجنبية في بلادنا الإسلامية لأن الإسلام كما يقولون هو [illegible] الذي [illegible] مصادره الأصلية [illegible] الإسلامي هو أكثر النظم [illegible] [illegible] إلى [illegible] الإسلام [illegible] في صدق [illegible] »

وبعد عشرين عاماً من مؤتمر « كولورادو » ، تتحدث [illegible] [illegible] البروتستانتية [illegible] « [illegible] » [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]

الإسلامي سبق أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين في الدول المسيحية، بما في ذلك روما عاصمة المسيحية. فكيف يمكننا ألا نرى في ذلك برنامجاً واضحاً للتوسع، وفتحاً جديداً»؟!

وفي نفس التاريخ تتحدث الكاردينال «بول بوبار» مساعد البابا، ومسئول المجلس الفاتيكاني للثقافة إلى صحيفة «الفيجارو» الفرنسية فيقول: «إن الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لأوروبا وللغرب عموماً. وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيراً ضيعاً لكي يلاحظ تفاوتاً متزايداً بين معدلات النمو السكاني في أنحاء معينة من العالم. ففي البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكاني بشكل تدريجي، بينما يحدث العكس في البلدان الإسلامية النامية. وفي عهد المسيح يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمجاً بشكل ما؟ إن التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن في أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتصرف، في حين أن المسيحيين في أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع، ويتناسون الصيام الذي يفرضه عليهم دينهم، وفي الوقت نفسه يتبهرون بصيام المسلمين في شهر رمضان»!

أما الأرثوذكسية الأوروبية فإنها تعبر عن موقفها من الإسلام والمسلمين بالمقابر الجماعية في البلقان والشيشان؟

* بل إن الثقافة المدنية العلمانية النيوترية الغربية لم تختلف عن « الشعبية » و « اللاهوتية » في هذا التصوير الشاذ للإسلام ومقدساته. فالشاعر الإيطالي « دانتي » (١٢٩٥-١٣٢١م) يضع رسول الإسلام في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم لأنه « سطرة تنويري » من أهل الشجار والنفاق الذين تقطعت أجسادهم في شعير « الكوميديا الإلهية ».

أما « جوته » الألماني (١٧٤٩-١٨٣٢م) فإن رسول الإسلام عنده « قد نصب حول الغرب غلافاً دينياً كئيباً، وعرف كيف يحجب عنهم الأمل في أي تقدم حقيقي ».

وإذا كان هذا من لا يزال في حاجة إلى أدلة على الآثار السلبية لهذه الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين في تراث الثقافة الغربية في نظرة الغرب المعاصر للآخر الإسلامي وفي التجليات التي نراها في الإعلام الغربي والدراسات الغربية وصناعة القرار للمشروع الغربي فيكفي أن نقرأ للرئيس الأمريكي الأسبق « ريتشارد نيكسون » في كتابه [الفرصة السانحة] « إن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء ويتصورون أن المسلمين شعوب غير متحضرة، ودمويون، وغير منطقيين وأن سبب اهتمامنا بهم هو أن بعض زعمائهم يسيطرون بالمصادفة على

بعض الأماكن التي تحوي ثلثي النفط الموجود في العالم ، وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة - حتى بالنسبة للصين الشيوعية - في ذهن وضمير المواطن الأمريكي عن العالم الإسلامي » .

ليست هي صورة « الآخر الإسلامي » في الثقافة الغربية [illegible] واللاهوتية والمدنية [illegible] صورة « الآخر المسيحي » واليهودي في الثقافة الإسلامية [illegible] وتتبع الصورة في العالم الإسلامي [illegible] « [illegible] » والأغلبية تعترف بالأقلية [illegible] بعكس غير صحيح ؟

فمن [illegible] هذه الصورة [illegible] الآخر [illegible] ويستأصله ؟

ومن الذي ترى ثقافة العالم [illegible] حضارات وثقافات وقوميات وشرائع [illegible] وديانات [illegible] شعوب [illegible] وجماعات [illegible] ومختلفة [illegible] يكون [illegible] حضاري وثقافي [illegible] طريق [illegible] تتفاعل [illegible] وتتمايز في الهويات والثقافات

[illegible] الغرب [illegible] الكذبة [illegible] الأكاذيب حتى [illegible] الإسلام [illegible] هذه القضية - في قفص الاتهام

التخطيط لانهيار مصر وتفتيتها !!

قبل أكثر من خمسين عاماً في أربعينيات القرن العشرين نشرت مجلة وزارة الدفاع الأمريكية « [illegible] » [illegible] INTELLIGENCE RESEARCH PROJECT مخطط مستشرق صهيوني « برنارد لويس » [illegible] الإسلامي من باكستان إلى المغرب على أسس عرقية وإثنية ودينية ومذهبية ، ودأب حتى يزداد التشرذم في هذا العالم المتشرذم أصلاً فيضاف إلى كياناته القطرية التي تزيد على الخمسين كيانات جديدة تزيد على الثلاثين [illegible]

كل تلك الكيانات - حسب تعبير « برنارد لويس » - إلى « برج ورقي » ومجتمعات فسيفسائية أو مجتمعات الموزاييك MOSAIC SOCIETY فيتحقق الأمن لإسرائيل لنصف قرن على الأقل » !

ولقد تحدث هذا المخطط عن تقسيم العراق إلى دويلات ثلاث

١ - دولة كردية سنية في الشمال .

٢ - دولة سنية عربية في الوسط .

٣ - دولة شيعية عربية في الجنوب

وهو ما يجري تنفيذه اليوم على أرض العراق . وتحدث هذا المخطط عن تقسيم السودان إلى

١ - دولة زنجية مستقلة في الجنوب

٢ - ودولة عربية في الشمال

وهو ما يجري تنفيذه اليوم على أرض السودان

وتحدث « برنارد لويس » عن تقسيم لبنان إلى خمس دويلات

١ - دويلة مسيحية

٢ - دويلة شيعية

٣ - دويلة سنية

٤ - دويلة درزية

٥ - ودويلة علوية

أما مصر فلقد خطط « لويس » تقسيمها إلى دولتين على الأقل

١ - واحدة إسلامية

٢ - والثانية قبطية - في الجنوب الصعيد

وبعد سنوات من نشر مجلة « البنتاجون » بهذا المخطط بدأ تنفيذه في حقبة الخمسينيات فشرعت إسرائيل في العمل على « تثبيت وتقوية الميول الانعزالية للأقليات في العالم العربي وتحريك هذه الأقليات لتدمير المجتمعات المستقرة وإذكاء النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال » - كما جاء بالحرف في عبارات « بن جوريون » لمذكرات « موشى شاريت »

وفيما يتعلق بمصر التي نخصها بهذه الصفحات

ظهرت في ذلك التاريخ - النصف الأول من الخمسينيات « جماعة الأمة القبطية » التي تدعو إلى « تحرير مصر من الإسلام والمسلمين »

وبدأت موجات الهجرات القبطية إلى الخارج وبالذات إلى أمريكا وكندا وأستراليا موجة عقب قانون الإصلاح الزراعي بمصر سنة ١٩٥٢م وثانية بعد تمصير الشركات الأجنبية سنة ١٩٥٧م عقب هزيمة العدوان الثلاثي في سنة ١٩٥٦م ، وثالثة عقب قوانين التأميم سنة ١٩٦١م ولقد عملت على هذه الهجرات روح الثأر والانتقام من مصر ثورة يوليو التي حرمت هؤلاء المهاجرين من الاستغلال الإقطاعي ومن سيطرتهم - مع أنهم أقلية - على الشركات في حقبة سيطرة

رأس المال الأجنبي المتحالف مع الاستعمار، فتنقطب أجهزة الاستخبارات المعادية، والدوائر الصهيونية كثيرين من هؤلاء المهاجرين.

وتكونت منذ ذلك التاريخ - بدايات التنظيمات القبطية المعادية لوحدة مصر الوطنية ولعروبتها وهويتها الحضارية الإسلامية.

فلما جاءت حقبة الثمانينات من القرن العشرين، ومع النجاح الذي حققه مخطط التفتيت على جبهة موارنة «المارونية السياسية» في لبنان، وتبنت الدين قانون «أمة فرنسا ونحن عرب، تعادي العروبة والإسلام» تصاعدت آمال المخطط الأمريكي الصهيوني في تفتيت مصر.

فعلاوة على مشاركة عدد من الأقباط في صفوف موارنة بالحرب الأهلية اللبنانية، وجدت «وثيقة ستراتيجية سرية في الثمانينات» التي نشرتها مجلة المنظمة الصهيونية «الاتجاهات» «كيفونيم» KIVANIM في ١٤ فبراير ١٩٨٢ م تقول: «إن مصر المفككة والمنقسمة إلى عناصر سطوية كثيرة، وليس على غرار ما هو اليوم - لا تشكل أي تهديد لإسرائيل، وإنما ضمانة للأمن والسلام لوقت طويل، وهذا في متناول أيدينا اليوم ..»

بل وتحدثت هذه الوثيقة عن أن تفتيت مصر هو مفتاح تفتيت كل بلاد العروبة والإسلام، فقالت

بالحرف - . . إن دولاً مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منهما لن تبقى طويلاً على صورتها الحالية بل ستقتفي أثر مصر في انهيارها وتفتتها ، فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون . إن رؤية دولة قبطية مسيحية في صعيد مصر إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية مصرية ، لا سلطة مركزية كما هو الوضع الآن ، هو مفتاح هذا التطور التاريخي الذي أخرته معاهدة السلام ، لكنه لا يبدو مستبعداً في المدى الطويل .

فتحرك [illegible] « مخطط [illegible] » لانهيار مصر وتفتيتها [illegible] « مؤامرة [illegible] » ولا « [illegible] » [illegible] « مؤامرة » [illegible] « [illegible] » [illegible] ما يقال ويطبق اليوم باسم الأقليات

من ذلك الذي أعلن [illegible] عن قيام حكومة قبطية في المنفى - في أثينا - [illegible] وسابقه وضعت « [illegible] » و « [illegible] » في [illegible] الإعلام [illegible] الإعلان مجرد « [illegible] » وهو الوصف [illegible] وطبقته [illegible] على من [illegible] حرق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م

[illegible] « [illegible] » [illegible] الاستشهاد [illegible] لا [illegible] الاختصاص [illegible]

وتصاحب هذه الجهود التي تبرز وبعض عنها الطرف التحول في أسماء المواليد عن الأسماء المصرية العربية إلى الأسماء الأوروبية الغربية فبدلاً من ميخائيل يسمى « مايكل » وبدلاً من بطرس يسمى « بيتر » وبدلاً من مريم تسمى « ميرى » حتى أصبح اسم مريم لا يسمى به غير المسلمين ، بل وشيوع عبارات من مثل « الشعب القبطي » و « الطائفة » بدلاً من « الشعب المصري »

إلى تزايد نفوذ أقباط المهجر على كنيستهم الأرثوذكسية فتعداد هؤلاء المهاجرين ، وإمكاناتهم المادية والأدبية ، ونفوذهم وحركتهم وعلاقاتهم مع ولائهم للبلاد التي يحملون جنسيتها وتسخيرهم أحياناً لخدمة مصالح الاستعمارية لتلك البلاد وخاصة في أمريكا وكانت زيادة الفروع الخارجية لهذه الكنيسة ومن ثم ثقل ونفوذ هذه الفروع كل هذا الجديد قد أحدث تطوراً نوعياً وكيفياً في حسابات وتوجهات الكنيسة ، التي اتجهت غرباً أكثر فأكثر ، بعد رجحان كفة رعيتها الغربية على رعيتها الداخلية الوطنية ولقد كان دخولها في « مجلس الكنائس العالمي » الذي أقامته المخابرات الأمريكية ، إبان الحرب الباردة ، لخدمة الهيمنة الأمريكية بعد أن ظلت هذه الكنيسة رافضة دخوله لسنوات طويلة كان ذلك إعلاناً عن هذا التحول في التوجهات حتى لقد أصبح بعض الغيورين عليها حتى من أبنائها -

يخشون من اهتزاز طابعها الوطني التاريخي لحساب الغرب والتغريب!

لن نقدر سنعلن هذا «التوجه نحو الغرب» لتعاظم الصحوة الدينية الإسلامية، لإخافة الأقباط من المشروع الحضاري الإسلامي، وتبرير الاحتماء بالعلمانية الغربية والنموذج الغربي في التقدم، وذلك بدلاً من إدراك حقيقة أن الصحوة الدينية هي ظاهرة عالمية في كل الديانات، حتى الديانات الوضعية من الهندوسية إلى الكنفشيوسية.

وأنها قد تعاظمت مع إفلاس النماذج الغربية والتغريبية التي فرضت على العالم، ونمت بجريتها على امتداد قرنين فلم تحقق للإنسانية نهضة حقة، ولا تقدماً حقيقياً، بدلاً من ذلك، وبدلاً من الإسهام النصراني في هذه الصحوة الإسلامية بمنظومة القيم الإيمانية المشتركة، والسمات المشتركة في الوطنية والقومية والثقافة الواحدة والحضارة الواحدة، بدلاً من التوجه شرقاً، انطلاقاً من حقائق هذه الشركة الحضارية التاريخية والدينية، تم التخويف من الصحوة الدينية الإسلامية بالتركيز فقط على قسمة العلو الإسلامي، التنمية الطائفية، والتوجه نحو الغرب والتغريب، فتخلقت المشكلة التي لا مشكلة سواها بين المتوجهين غرباً، حتى ولو كانوا مسلمي الأسماء والآباء، وبين الأمة التي تبحث بنهضتها عن خيار نهضوي نابع من حضارتها وهويتها العربية الإسلامية إلى مراكز «البحث» في آخر مصر، تلك التي ستعطيها

علاة العلمانيين وسواقط الماركسيين والتي تمولها [illegible] يسير [illegible] - الدوائر والمؤسسات الأجنبية [illegible] عن ما يسمى باضطهاد الأقباط وهموم الأقباط ونظام الأقباط تلك « الملفات » التي تفتحها وتستخدمها الدوائر المعادية لوحدة مصر في الخارج

حتى لقد وصل الأمر بأحد هذه المراكز « البحثية » - مركز ابن خلدون - مع الاعتذار لاسم فقيه الإسلام ابن خلدون ! - أن يدعو صاحبه - د. سعد إبراهيم - إلى تنفيذ المخطط الامبريالي الصهيوني لتفتيت العالم العربي أكثر مما فتتته اتفاقية « سيكس بيكو » سنة ١٩١٦م فيطالب بإقامة كيانات « فيدرالية » تحقق « تعددية سياسية » نعم تعددية سياسية لكل الأقليات في الوطن العربي « لأن المجتمعات التي تتسم بالتعددية الإثنية في الوقت الحالي ، ينبغي أن تكون متعددة من الناحية السياسية أيضاً . » !!(١)

وحتى قانون « الاضطهاد الديني » الذي أصدره الكونجرس الأمريكي في أكتوبر سنة ١٩٩٨م والذي وضعت القارة المتابعة المنشدة له مصر وعدد من الدول العربية والإسلامية على قائمة الدول التي تضطهد الأقباط ، والمرشحة لعقاب الأمريكان

---

(١) « التعددية الإثنية في الوطن العربي » ص ٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م

وأخيراً وليس آخراً صناعة الزعامات الجذابة « الكاريزمية » - مع الحملات الإعلامية التي تضفي الطابع الطائفي على توترات إجرامية أو مشكلات اجتماعية أو تتابع في أحداث لا تخلو من مثلها وأكثر منها مجتمع من المجتمعات التي تتعدد فيها الديانات والمذهبيات

وهكذا نجد أنفسنا أمام خيوط عنكبوتية ، تبدأ جميعها من الغرب ، تتعود فتخدم الغرب اللاعب الأول بورقة الأقليات - كل الأقليات - ويصرف النظر عن ديانات هذه الأقليات

وغني عن البيان أن الغرب هنا ليس الإنسان الغربي ولا العلم الغربي ، وإنما هو « المشروع الغربي » الذي يعلن أن الإسلام هو العدو الذي حل محل امبراطورية الشر الشيوعية والذي يريد عولمة نموذجه الحضاري من الاقتصاد إلى القيم لتهميش النماذج الحضارية غير الغربية

وغني عن البيان أيضاً ، أن هذا المشروع الغربي لا رابطة بينه وبين المسيحية الشرقية ومنها الأرثوذكسية المصرية فهذه الأرثوذكسية فضلاً عن أنها جزء من نسيجنا الوطني والقومي والحضاري والثقافي والقيمي

فإن مسيحية الغرب لا تعترف بمسيحيتها ؟

وإنما يتخذ الغرب الاستعماري والصهيونية منها « ورقة » يلعب بها في معركته ضد الاستقلال الحضاري للشرق ، واليقظة القومية لأمته وشعوبه فالإسلام والمسيحية الشرقية في خندق وطني

وقومي وحضاري واحد تجاه المشروع الغربي الامبريالي الصهيوني بل إن هذه المسيحية الشرقية هي والإسلام وحدة واحدة في « النسق الأخلاقي » و « منظومة القيم الإيمانية » وهي ، هذه المنظومة القيمية على العكس والنقيض من منظومة القيم الغربية التي لم تعد مسيحية والتي ذهبت في الوضعية والمادية والانحلال حداً لا يرضاه أي دين من الأديان ، سماوياً كان هذا الدين أو وضعياً

ولقد أدرك العقلاء من زعماء النهضة الإسلامية هذه الحقيقة منذ أن شرع الغرب يمد جنان وشباك الغواية لاصطياد الأقليات المسيحية الشرقية ، كجزء من حربه للشرق والإسلام ، فقال عبد الرحمن الكواكبي « ١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ / ١٨٥٤ - ١٩٠٢م » مسيحيي الشرق « أليس مطلق الغربي أخف استحقاراً لأخيه من الغربي ؟ هذا الغربي قد أصبح مادياً لا دين له غير الكسب فما تظاهره مع بعضنا بالإخاء الديني إلا مخادعة وكذبة وما دعوة الدين في الشرق إلا كما يعرف الصياد وراء الشباك » ! (١)

وقال ميشيل عفلق « ١٣٢٨ - ١٤٠٩هـ / ١٩١٠ - ١٩٨٩م » « إن المسيحيين العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم سوف يعرفون أن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها ويحبوها ويحرصوا

---

(١) الأعمال الكاملة ص ٣٠٨ دراسة وتحقيق د. محمود عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٥م

عليها حرصهم على أثمن شيء في عروبتهم فلا يوجد عربي غير مسلم ! ، فالإسلام هو تاريخنا وهو بطولاتنا ، وهو لغتنا ، وفلسفتنا ونظرتنا إلى الكون . إنه الثقافة القومية الموحدة للعرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وبهذا المعنى لا يوجد عربي غير مسلم إذا كان هذا العربي صادق العروبة ، وإذا كان متجرداً من الأهواء . ولئن كان عجبي شديداً للمسلم الذي لا يحب العرب ، فعجبي أشد للعربي الذي لا يحب الإسلام »[2] فالمسيحية الشرقية جزء من « ذاتنا »

الوطنية والقومية والحضارية بينما العرب هو « الآخر » بالنسبة لنا جميعاً مسلمين ومسيحيين »

إن تعداد المسلمين قد قارب ربع البشرية ، وليس هناك عاقل يطمع في إحلال الإسلام محل النصرانية بإدخال الأقلية النصرانية في الإسلام فالأصل والقانون ، في الإسلام هو التعدد في الشرائع والميل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا

---

(٢) « الكتابات السياسية الكاملة » ج٣ ص٣٣ ، ٢٦٩ ، ج٥ ص٦٨ طبعة بغداد سنة ١٩٨٧ ، ١٩٨٨م

بخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾[1]

وهي تحتوي على منصور لاتية للصورته بكنيسة بقرية بوصل من نسمس التي تكونت ٩٥ م بمكانة وحرف ن بتذرع بعض بقوته بعرب التي سبق وعارضت لامبراطوريات لاستعمارية التي سبقت أمريكا في بعض بوزعة لأقاليم مر روسيا المنصورة لأرثوذكسية إلى فرنسا بكاثوليكية وحتى بحتر لإنجيلية فلقد ضيق صفحات هذه لامبراطوريات وذهب عملاقها إلى مزبلة التاريخ

وبقي لإسلام بحضارته بمنصوره بكل شعوب بشرق التي بستيقظ بقوة متجددة من بمرجعة بحضارية بشرقية بتسلح بالتقدم والنهوض

فمشروع لإسلامي الحضاري هو بمضاد لا شرقي لإسلام بمسيحي في بحضارة بغربية بيمثله مشروع الغربي بوضعي والمادي والعلماني هو مقبرة كل لون لإسلام الحضاري

وقد وعد سنة ٦٢٨م قريش على لسان سهيل بن عمرو في صلح الحديبية بأن يدع محمد وأصحابه عامهم هذا على أن يعود في العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : ألم تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ فقال له رسول الله ﷺ : بلى أفأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قال عمر : لا . قال رسول الله ﷺ : فإنك آتيه ومطوف به . وفي رواية أخرى أن عمر قال : يا رسول الله ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا . فرجع عمر إلى خيمته فدخل عليها متغيظا فلقيه أبو بكر فقال له مثل ما قال رسول الله ﷺ فنزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ فأرسل إلى عمر فأقرأه إياها فقال : يا رسول الله أوفتح هو ؟ قال : نعم . فطابت نفسه ورجع .

---

[1] سورة ٩

بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به »

ولقد كان خاطب في ذلك المصدر عن منهاج النبوة الذي نعلم منه قول رسول الله ﷺ عن المسيح عليه السلام : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وليس بيننا نبي »[2]

فحرام أن تفرق العرب المادي الاستعماري ما جمعته منظومة القيم الإيمانية الموحدة لأبناء أحمد والمسيح عليهم السلام وما وحدته الثقافة واللغة والوطنية والقومية والحضارية عبر تاريخنا الطويل ، وخصوصا عندما يكون جميعا كأن سفينة الوطن الواحد الذي نعيش فيه كما نعيش فيه .

إن الوطن هو السفينة التي لا مكان لأي من ركابها خارج حرمها وأمنها وأمانها ، وإنه حرفها الأعداء والعملاء والدهماء غرق جميعه من عليها بلا استثناء ، وغرقوا معهم كل العقائد والمذاهب والمصالح والطموحات ، ولقد سلمت الإسلام منهاج وقاية الأمة من شرور الفتنة عندما قال القرآن الكريم ﴿ واتقوا

---

(1) فتوح مصر وأخبارها ، لابن عبد الحكم ، ص ٦٦ ، طبعة بدون سنة ١٩٥٢ م

(2) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد

فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾[1].

وعندما رسم رسول الله ﷺ هذا المنهج في « حديث السفينة » الذي رواه النعمان بن بشير فقال: قال رسول الله ﷺ [مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة في البحر ، فأصاب بعضهم أسفلها وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فآذوهم، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً][2]

وإذا كان الضرب على الأيدي الذي يحاولون خرق السفينة هو شأن القضاء على سلطان الدولة والقضاء على تطبيق الدستور والقانون فإن مهمة الفكر هي تنوير الحديث عن الغيب في عالم الأفكار والتوجهات وتبيان الحقائق من الأكاذيب في الدعاوى والادعاءات فهذا هو الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾

---

(1) الأنفال ٢٥

(2) رواه البخاري والترمذي والإمام أحمد

إن حرية الوطن وهي تحرية جميع أبنائه من كل الطبقات والديانات والمذهبيات، وسيظل العدل منقوصاً إذا ما حاق الظلم بأحد من المواطنين، ولن يتحقق حرية الكاتب والمفكر إذا كان في وطنه من يرسفون في الأغلال والأصفاد، وإذا كان رسول الله ﷺ يبيننا ويحذرنا من أن ذمة الله بريئة من أي جماعة صغيرة أو كبيرة تبيت شبعى وفيهم امرؤ واحد جائع [أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى][2]

فما بال الذين يرضون بأن يقع الظلم على جماعة من الجماعات، سواء أكانت أقلية تظلمها الأغلبية أو أغلبية تستعدي عليها الأقلية الظلمة والطغاة.

إن الإسلام الذي يعلمنا وجوب العدل حتى مع من نكره من الأعداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾[3]

إن هذا الإسلام هو الذي حرر النصرانية المصرية وكنيستها فأنقذهما من الإبادة الروحانية المحققة حتى نستطيع أن

---

(1) آل عمران ١٨٧.

(2) رواه الإمام أحمد

(3) المائدة ٨

تقول بأعلى الأصوات إن النصرانية المصرية ومعها كنائسها ومؤسساتها ورعيتها هي هبة الإسلام .

وإذا كان الإسلام قد جاء إلى مصر من شبه الجزيرة العربية فإن النصرانية قد وفدت إلى مصر من فلسطين والأقدم منهما معاً في مصر هي عبادة العجل « نفس » وإذا كانت « الدولة الإسلامية » قد جاءت إلى مصر مع الفتح الإسلامي فهي قد حلت محل الدولة الرومانية الاستعمارية التي قبرت أهل مصر ونصرانيتهم ولم تحل « الدولة » الإسلامية محل نصرانية مصرية أسس في النصرانية « دولة » ومصر لم يحكمها نصراني من أهلها عبر التاريخ وإنما ظلت النصرانية المصرية عقيدة مطاردة وهاربة حتى جاء الإسلام ودولته فأمنت لأول مرة في تاريخها .

وإذا كانت العربية قد وفدت إلى مصر مع الفتح الإسلامي ، فلقد حلت - باختيار أهلها - محل اللغة التي قهرها الاستعمار الروماني حتى كتبت بالحروف اليونانية

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد وفدت إلى مصر قبل أربعة عشر قرناً ، فلقد حلت محل القانون « الروماني والقانون الوافد للدولة الغازية المستعمرة قانون « جستنيان » « ٥٢٧ ٥٦٥م » الذي أحرق في الإسكندرية وحدها - في ليلة واحدة من ٢ من نصارى مصر بينما هرب الناجون

من الشرق إلى الصحراء ، ولم تحل الشريعة الإسلامية محل قانون نصراني .

ولأن الإسلام قد حرر النصرانية المصرية ، ورضع عن أقباط مصر الأغلال التي كبلتهم وقهرت ثقافتهم ولغتهم وعقيدتهم وحضارتهم بعدة قرون ، قرابة ألف عام من فتح الإسكندر الأكبر ، ٣٥٦ ، ٣٢ ق . م ، في القرن الرابع قبل الميلاد ، إلى الفتح الإسلامي ، في القرن السابع للميلاد ، فقد اندمجت مصر في الإسلام والعربية كما لم تندمج مجتمعة من المجتمعات التي أحلت الإسلام ، فدخلت أغلبية أهلها في الإسلام ، العقيدة والشريعة والقيم والفقه واللغة والثقافة والنظارة ، ودخلت الأقلية التي بقيت على نصرانيتها في الإسلام ، القيم والثقافة واللغة والحضارة والقانون ، فكانت « المملكة المصرية » الواحدة ، التي أسهمت في الحضارة الإسلامية ، بعد أن استوعبت المواريث الحضارية المصرية في عمق عمق التاريخ ، فعدت هذه الحضارة الإسلامية بعبارة الفقيه القانوني والقاضي العادل الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا « ١٣١٣-١٣٩١هـ / ١٨٩٥-١٩٧١م » :

« ميراث الحلال للمسلمين والمسيحيين المقيمين في الشرق ، فتاريخ الجميع مشترك ، ولكن تضافروا على إيجاد هذه المدنية » [illegible] على

[illegible] ص ٨ [illegible]

[illegible] ١٩٨٨ .

ورثة هذا الميراث العظيم والنفيس والفريد أن يفرطوا فيه
بتفريط السفهاء الذين لا يعرفون قيمته ونفاسة وعظمة وتفرد
ما أورثهم الآباء والأجداد

وإذا كانت مهمة الفكر هي إيقاظ العقول لتأليف القلوب
بالحقائق لا بالأكاذيب - فليس كصراحة الحقائق سبيلاً لإيقاظ
العقول وليس كالعقول اليقظة سبيلاً لتأليف القلوب
المخلصة لسفينة الوطن الذي يعيش فيه كما نعيش فيه
وليس هي غاية هذه الصفحات، التي نسأل الله أن ينفع بها إنه
سبحانه وتعالى خير مسئول وأكرم مجيب

الانتماء الإسلامى والأقليات الدينية والقومية

يدعو الإسلام إلى أن يكون الانتماء إليه هو الجامع الأكبر، الذى يختص كل دوائر الانتماء الفرعية، والصغرى، والجزئية دينية كانت أو ثقافية أو قومية.

وعلى حين يسقط الإسلام «العرق والجنس» من معايير ودوائر الانتماء، فإنه لا يقف كدائرة انتماء، للأمة عند حدود المتدينين بالإسلام فى عالم الإسلام، وإنما يشمل كذلك

الأقليات غير المسلمة التي تصهرت قومياً وحضارياً ووطنياً مع الأغلبيات المسلمة. فإذا كان هذا الانتماء الإسلامي يمثل بالنسبة للمسلم عقيدة وشريعة، وقيماً، وحضارة، وقومية ووطنية وثقافة، وتاريخاً وتراثاً في الفكر وفي القانون - فباستثناء «العقائد» الدينية الخاصة بشرائع هذه الأقليات، فإن الإسلام قد مثل ويمثل الانتماء المشترك والجامع لشعوب الأمة وقومياتها، على اختلاف العقائد الدينية والشعائر العبادية بين أبنائها. ولقد ساعد على تمثيل الإسلام لجامع الانتماء الموحِّد، أن النصرانية - التي يتدين بها أغلب الأقليات الدينية في العالم الإسلامي - هي شريعة لخلاص الروح، همها الأول والأوحد مملكة السماء، ومن ثم فليس لديها تدين في الانتماء الوطني والقومي والأسمى يميز أبناءها عن أن يكون انتماؤهم الحضاري والقومي والثقافي والوطني هو نفس انتماء المسلمين. فالجامع الإسلامي في الانتماء جامع موحِّد ليس فقط للدوائر الوطنية والقومية والمِلِّيَّة، وإنما أيضاً للأقليات غير المسلمة مع الأغلبيات المسلمة في عالم الإسلام.

يبين الإسلام بالتعددية الكسبة من سيرته في الشرائع والأقوام والحضارات، هو الذي مثل أمته وعلمه [illegible] بالتعددية

فى الديانات والأقوام . فلأنه أعلن أن ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ عاشت فى دياره الأقليات غير المسلمة وحفظ لها أمنها وأمنها على عقائدها ، كفريضة إسلامية . وليس مجرد « تسامح » و « حق » من الحقوق .

ولأن المنهاج الإسلامى قد حرم على « القوميات » عصبيات الجاهلية ، ووقف بسماتها عند الدوائر اللغوية . ولم يجعلها « فلسفات » ومذاهب « تناقض أو تنافس منهاج الإسلام ، فإنه قد حال بين هذه « القوميات » وبين الطغيان الذى ينفى وجود الأقليات القومية فى الدوائر القومية الكبرى . فعاشت الأقوام كأقليات والملل كأقليات فى المجتمع الإسلامى على النحو الذى كاد أن يتفرد به عالم الإسلام .

وإذا كان جامع الانتماء الإسلامى هو المظلة التى تظلل كل الأقوام فى عالم الإسلام ، أغلبية كانوا أم أقلية . فإن معايير « الولاء والبراء » و « الموالاة والمعاداة » فضلا عن جامع الانتماء الحضارى والثقافى والقومى والوطنى والقانونى جميعها هى روابط تشد وتجمع الأقليات غير المسلمة إلى الأغلبيات المسلمة فى ديار الإسلام .

يقول الله ، سبحانه وتعالى فى تحديد معايير « الولاء والبراء » بين المسلمين وغيرهم ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم

الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾[1]

وانطلاقاً من هذه الآيات المحكمة فإن المواطنين من أبناء الأقليات الدينية الذين يعيشون مع الأغلبية المسلمة، ويشاركونهم الانتماء للوطن والولاء له، هم شركاء في المواطنة لهم « البر والعدل »، فريضة من الله فرضها على الأغلبية المسلمة.

وإذا كان الإسلام قد جعل من التعددية في الشرائع الدينية سنة من سنن الله في الاجتماع الديني ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾[2]

فإن دستور دولة الإسلام الأولى في المدينة على عهد رسول الله ﷺ قد قرر التمييز بين « أمة » جماعة الدين وبين « أمة » جماعة الرعية السياسية - رعية المواطنة فحرية الدين تحدد خطوط الجماعات المختلفة في الدين، على حين تجمعها جميعاً رابطة المواطنة المشتركة والرعية السياسية الواحدة والجوامع الحضارية والقومية والوطنية في الدولة الواحدة .. فهناك نوعان من « الموالاة »

---

(1) الممتحنة ٩٠٧ (2) المائدة ٤٨

(أ) موالاة في الدين بين أهل كل دين ، تظهر في المناصب والسلطات ذات الطبيعة والشروط والوظائف الدينية والتي ترعى الشئون الدينية لأهل كل دين ، وفيها لا « ولاية » تعتبرهم عليهم بصرف النظر عن القلة والكثرة العددية لهذه الجماعات والمسائل الدينية

(ب) وموالاة في الشئون العامة للدولة المشتركة تظهر في المرجعية التي تعبر عن هوية الدولة ورسالتها وهذه المرجعية والهوية والرسالة تتحدد تبعاً لأغلبية المواطنين وبشمولية الإسلام « للدولة » مع « الدين » وهي خصيصة تميز بها عن النصرانية تلك التي وقفت رسالتها عند خلاص الروح ومملكة السماء تاركة ما لقيصر لقيصر وما لله لله وهذه الإسلامية مرجعية الدولة وهويتها ورسالتها لا تعني التقاصُّ من المساواة في الحقوق أو تمييزاً في الواجبات الحياتية بين أبناء كل الديانات

وعن هذه الحقيقة « الإسلامية الدستورية » جاء في « دستور » دولة المدينة ، بصحيفة الكتاب ، الذي حكم علاقات الرعية بعضها ببعض وعلاقاتها بولاة الأمر ، في دولة الإسلام الأولى « وأن يهود أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، موالاتهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم » فتقررت في هذه المواد - المساواة في الحقوق والواجبات

ثم تقررت إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها بالنص على « وأنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله »[1]

والأمر الذي يجعل من إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها أمراً لا ينتقص من حقوق المواطنة لغير المسلمين في الدولة ذات الأغلبية الإسلامية، أن « إسلامية الدولة » من حيث « إسلامية قانونها » هو مطلب دينى إسلامى وفريضة شرعية إسلامية وتكليف إلهى للمسلمين لا يقابله مطلب نصرانى للنصرانية. فالنصرانية التى لم تأت بشريعة للدولة والسياسة والاقتصاد وشئون العمران الدنيوى والتى تركت ما لقيصر لقيصر وما لله لله لا يضيرها ولا ينتقص منها ولا من حقوق أبنائها إسلامية « قيصر » الدولة لأنها فى كل الحالات قابلة بـ « قانون » ينظم العلاقات فى الدولة. فإذا كان هذا القانون إسلامياً، يعبر عن الهوية الإسلامية للأمة فإنه لا يمثل انتقاصاً من النصرانية، ولا بديلاً عنها فضلاً عن أنه مع عدله فى كل الرعية هو جزء من الاعتقاد الدينى للأغلبية التى تعايشها وتواطنها

---

[1] مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٥ [illegible]

[2] محمد حميد الله بن الصدر الأدبى طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م

إن تحكيم الشريعة الإسلامية لا ينتقص من نصرانية الأقليات النصرانية في المجتمعات الإسلامية ، بينما غياب هذه الشريعة هو قطع لإحدى رئتي الإسلام وكسر لإحدى ساقيه ، ينتقص من إيمان المؤمنين به . وذلك فضلاً عن أن تطبيق هذه الشريعة يجعل من الحفاظ على حقوق الأقليات النصرانية في المواطنة ديناً يتدين به المسلمون وليس مجرد تسامح يمنح عند الرضا ويمنع عند ضيق الصدور

ولقد أكد هذه الحقيقة ، حقيقة قيام المساواة في حقوق وواجبات المواطنة ، بين الأغلبية المسلمة وبين الأقليات الكتابية « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » مع « إسلامية الدولة » في هويتها ورسالتها وحضارتها وثقافتها

إن هذه الإسلامية لم تقم كبديل عن « نصرانية الدولة » حتى في المرحلة التي سبقت فتوحات الإسلام وقيام دولته الإسلامية فالنصرانية الشرقية والتي هي دين لا دولة قد ظلت ديانة مضطهدة في الشرق حتى جاء الإسلام فأمن أهلها لأول مرة في تاريخهم النصراني ؟ فدولة الإسلام كانت ، منذ النشأة ، بديلاً لدولة الروم البيزنطيين المستعمرين ، ولم تكن بديلاً لدولة نصرانية وطنية شرقية ، ولذلك كانت تحريراً للنصارى وتأميناً للنصرانية ، ولم تكن انتقاصاً لحق من حقوقهم

ولقد بلغ الإسلام في التأسيس لوحدة الأمة في المواطنة ، مع تعدد دياناتها ، أنه شرع لتعدد الديانات في الأسرة الواحدة ... وهي لبنة الأمة والشعب فالزواج المسلم من الكتابية ، يكون للأولاد المسلمين أم كتابية وأخوال كتابيون ، وأب مسلم وأعمام مسلمون، الأمر الذي يؤسس وحدة الأمة بدياناتها المتعددة على التعددية التي قررها الإسلام في لبنات الأساس

وإذا كانت سنة « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » قد شقت عنواناً على تراث من المبادئ والتشريعات والممارسات ضمنت العدل والمساواة بين أهل الديانات المتعددة في دولة الإسلام ، حتى لقد انفردت حضارة الإسلام بتجسيدها لهذه التعددية دون الحضارات الأخرى ، فإن الفكر الإسلامي والممارسة الإسلامية قد أكدا على أن إسلامية الدولة ... في الهوية والمرجعية والرسالة النصارية ، فضلاً عن أنها حق من حقوق الأغلبية المسلمة في أن تحكم بالقانون الذي تريده - والذي لا يخل بالعدل والمساواة بالنسبة للأقليات ... إن هذا الفكر وهذه الممارسة التاريخية قد ميزا بين « الولايات » التي فيها « رسالة دينية إسلامية » والتي من الطبيعي أن يليها المسلم - وبين غيرها - مما يتساوى في ولايتها كل المواطنين

* فعندما نكون بصدد تكوين هيئة للاجتهاد الإسلامي في الشريعة الإسلامية والقانون الإسلامي ، فلابد من اشتراط الإسلام في أهل هذا الاجتهاد ... وعندما

يكون بصدد خبرات أهل الفكر والرأى فى الشئون الحياتية ، فلا مجال للتمييز بين عقائد أهل الرأى هؤلاء

* وعندما يكون القاضى مجتهداً فى الفقه الإسلامى ، فلابد وأن يكون مسلماً أما إذا كان مقلداً للفقهاء كما هو حال الكثيرين الآن فلا مجال للتمييز

* وعندما يكون رئيس الدولة إسلامية ولابد بسببه مع كونه حاكماً مدنياً مثل إمامته للأمة فى الصلاة وقدرته لدعوة إلى الإسلام وتكليفه بحراسة الدين وسياسة الدنيا به والجهاد فى سبيل نصرة الإسلام إلى غير الولايات لدينية من تتولى « الإمامة العظمى » فى الدولة الإسلامية فإنه يكون أهم « شروط » فى رأس الدولة لا تتحقق إلا فى كل مسلماً وحجب غير المسلم عن هذه الولايات ، ذات الرئاسة الإسلامية إنما يكون بغيبة شروط لابد منها فيمن يتولاها ، وليس انتقاص من المساواة فى المواطنة كالحال مع المواطن الذى لم تجتمع فيه شروط منصب من المناصب فإن ذلك لا ينتقص من حقوقه فى المواطنة الكاملة ، وإنما ينقص قدره فى شروط هذا المنصب بالذات

* وكذلك الحال مع الولايات ذات « الرئاسة النصرانية » كالرئاسة النصرانى لا تتولاها إلا نصرانى ، فشروطها لا تتحقق فى غيره ولا يعنى هذا انتقاصاً من حقوق المواطنة لغير النصارى

إن « الدولة » و « ولايتها » ليست « شريعة نصرانية » ، حتى يكون تولي النصراني لهذه الولايات جزءاً من التدين بدين النصرانية . بينما « الدولة » « شريعة إسلامية » ، يطلبها المسلم استكمالاً لإسلامه ، ففي ولايتها بعد ديني إسلامي .

وإذا كان شاذاً إقامة «الوحدة الوطنية» بين أبناء الديانات المختلفة ، مع الانتقاص من دين الأقلية ، فأكثر شذوذاً بناء هذه « الوحدة الوطنية » على أساس من استبعاد الشريعة الإسلامية ، التي تمثل إحدى رئتي الإسلام ، وبغيرها لا يكتمل للأغلبية دين ؟!.

ذلك هو موقفنا من الأقليات غير المسلمة في المجتمعات الإسلامية . وعتّهُ الدعوة الإسلامية على مر تاريخها . وجسدته الممارسات الإسلامية حضارة تميزت بالتعددية والتعايش بين الأديان . ووجد مكانه في أدبيات الحركة الإسلامية المعاصرة ، فكتب فيه الإمام البنا الكثير ، من مثل قوله : « إن الأقلية غير المسلمة ، من أبناء هذا الوطن ، تعلم تمام العلم كيف تجد الطمأنينة والأمن والعدالة والمساواة التامة في كل تعاليم الدين الإسلامي وأحكامه . وهذا التاريخ الطويل العريض للصلة الطيبة الكريمة بين أبناء هذا الوطن جميعاً - مسلمين وغير مسلمين - يكفينا مئونة الإفاضة والإسراف . فإن من الجميل حقاً أن تسجل لهؤلاء المواطنين الكرام أنهم يقدرون هذه المعاني

في كل المناسبات ، ويعتبرون الإسلام معنى من معاني قوميتهم ، وإن لم تكن أحكامه وتعاليمه من عقيدتهم[1] ونخطىء من يظن أننا دعاة تفريق عنصري بين طبقات الأمة فنحن نعلم أن الإسلام على أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بني الإنسان في مثل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾[2] كما أنه جاء لخير الناس جميعاً ورحمة من الله للعالمين

ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور ، ولهذا جاء القرآن مثبتاً لهذه الوحدة مشيداً بها في مثل قوله تعالى ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾[3] وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى في حالات الغضب والخصومة فقال تعالى ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾[4]

---

(1) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ص ١٩٦ - ٩٧ طبعة دار الشهاب القاهرة

(2) الحجرات ١٣

(3) البقرة ٢٨٥

(4) المائدة ٨

وأوصى بالبر و الإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ﴾[1]

كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم لهم ما لنا وعليهم ما عليهم .

نعلم كل هذا ، فلا ندعو إلى فرقة عنصرية ولا إلى عصبية طائفية ولكننا إلى جانب هذا لا نشتري هذه الوحدة بإيماننا ، ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا ، ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين وإنما نشتريها بالحق و الإنصاف و العدالة وكفى فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده ، وأبنّا له خطأ ما ذهب إليه [﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾[2]][3]

هذا هو موقف من الأقليات في دار الإسلام

***

بل إنه لا يطلب للأقليات المسلمة في المجتمعات ذات الأغلبية غير المسلمة وفي بلدان العالم كثير من هذا الذي يقرره الإسلام للأقليات غير المسلمة في دار الإسلام

---

(١) الممتحنة ٨ (٢) المنافقون ٨

٣، [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] رسالة إلى الشباب ص٨٨،٨٩

فمع أن الإسلام « دين ودولة » فربما لا تجد منطقاً من يطلب للأقليات المسلمة في تلك المجتمعات إقامة « دولة الإسلام » هناك لكن المنطق والمطلب هو أن تتاح لهذه الأقليات إقامة « دين الإسلام » وأن تنص دساتير تلك الدول ، وتضمن قوانينها - للأقليات المسلمة

* حرية الاعتقاد الديني وحماية المعتقدات الإسلامية

* وحرية إقامة الشعائر وأداء العبادات الإسلامية والتمكين للمسلمين من الوفاء بفرائض الدين

* وحقوق إقامة فرائض الدين وشرائعه في الأحوال الشخصية من مثل قوانين الأسرة والتوارث وغيرها مما يتعلق بالحرمات الخاصة بالمسلمين -

* وإعانتهم على التزام قواعد الحلال والحرام الديني في المطاعم والمشارب .

* وتمكينهم من تعليم أبنائهم قواعد دينهم وتيسير الثقافة والقيم والمثل الإسلامية لأبناء هذه الأقليات

فمع الاحترام لمنطق الديمقراطية في حكم الأغلبية نريد للأقليات ما تقتضيه التعددية من حقوق مختلف فرقاء التعددية على النحو الذي ضمنه الإسلام للأقليات

نريد تمكينهم من الالتزام « بدين الإسلام » في الوقت الذي تحكمهم فيه « دول » لا تلتزم بالإسلام ، كما يمكن الإسلام أبناء الأقليات غير المسلمة من إقامة « دينها » في ظل « دولة الإسلام » .

حـــوار الأديـــان

هل هو حوار طرشـــان ؟!

في الإسلام الحوار ليس مجرد قضية وإنما هو فريضة ذلك أن الإسلام يجعل التعددية ، في كل ما عدا ومن عدا الذات الإلهية قانوناً وسنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل

فالناس الذين خلقهم الله سبحانه وتعالى ، من نفس واحدة قد جعلهم شعوباً وقبائل ﴿ يا أيها الناس إنا

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾[1] وجعل اختلافهم في الألسنة واللغات آية من آياته ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾[2] فغدوا متعددين في القوميات، ثم هو سبحانه قد شاء لهم التعددية في المناهج، أي الحضارات والثقافات والعادات والتقاليد والأعراف، وفي الشرائع، أي الملل والديانات ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾[3] وقضت سنته سبحانه وتعالى أن يكون سعيهم شتى، ولا يزالون مختلفين.

وحتى يتأكد عمل هذه السنة الإلهية سنة التعددية في كل عوالم الخلق في الإنسان والحيوان والنبات والجماد والأفكار والأجرام - دعا الإسلام إلى منهج « التدافع »، بدلاً من « الصراع »، في معالجة التناقضات التي تفرزها الحياة بين الفرقاء المتعددين، ذلك أن الصراع يعني أن يصرع طرف الطرف الآخر، فيخرجه من الساحة، وبذلك تنتفي التعددية،

---

(١) الحجرات ١٣

(٢) الروم ٢٢

(٣) المائدة ٤٨

وينفرد المنتصر بالميدان ﴿ صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية ﴾[1] بينما التدافع هو عبارة عن « حراك » واستباق « يُعدِّل الخلل الفاحش بين الفرقاء المختلفين ، ليعيد العلاقة بينهم إلى مستوى التوازن الوسطي العادل » وبذلك ينتفي سكون الموت بين الفرقاء المتعددين وتنجو التعددية من موات الصراع الذي يصرع به طرف غيره من الأطراف ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾[2] ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾[3]

ولأن التعارف هو غاية التعددية ، ولأن الحوار هو سبيل هذا التعارف بين بني الإنسان ، كان الحوار فريضة من فرائض الإسلام ، والذين يقرأون القرآن الكريم يدركون دوره ، ودور الحوارات المتعددة والمتنوعة المبثوثة في سوره وآياته ، في صياغة « الروح الحوارية » عند الإنسان المسلم ، تلك التي تجسدت في علاقات الإسلام وأمته وحضارته مع الآخرين

تلك هي حقيقة الموقف الإسلامي ، كما أومن به ، في رؤية « الآخرين » ، وفي فريضة الحوار مع « الآخرين »

---

(١) الحاقة ٧-٨

(٢) البقرة ٢٥١

(٣) فصلت ٣٤

ومع كل ذلك، فتجربتي مع الحوارات الدينية، وخاصة مع ممثلي النصرانية الغربية، تجربة سيئة، لا تبعث على رجاء، فإن تذكر من وراء هذه الحوارات، التي تقام بها الكثير من اللجان والمؤسسات وتعقد بها الكثير من المؤتمرات والندوات واللقاءات، وتنفق عليها الكثير من الأموال.

ذلك أن كل هذه الحوارات، التي دارت وتدور بين علماء الإسلام ومفكريه وبين ممثلي كنائس النصرانية الغربية، قد افتقدت ولا تزال مفتقدة، الأول وأبسط وأهم شرط من شروط أي حوار من الحوارات، وهو شرط الاعتراف المتبادل والقبول المشترك بين أطراف الحوار. فالحوار إنما يدور بين «الذات» وبين «الآخر»، ومن ثم بين «الآخر» وبين «الذات»، ففيه «إرسال» وفيه «استقبال» على أمل التفاعل بين الطرفين. فإذا دار الحوار، كما هو حاله الآن، بين طرف يعترف بالآخر، وآخر لا يعترف بمن «يحاوره»، كان حواراً مع «الذات»، وليس مع «الآخر»، ووقف عند «الإرسال» دون «الاستقبال»، ومن ثم يكون شبيهاً في النتائج بحوار الطرشان".

إن الإسلام والمؤمنين به يعترفون باليهودية والنصرانية كديانات سماوية، أو رسالات وشرائع في الدين الإلهي الواحد، ويؤمنون بصدق جميع أنبيائها ورسلها، عليهم الصلاة والسلام، ويرون في أصول كتبها وحياً إلهياً أنزله الله على هؤلاء الرسل والأنبياء، ويتعبدون ربهم بالصلاة والسلام على موسى وأمه، وعيسى وأمه، وسائر الأنبياء والمرسلين في

بني إسرائيل ، ويرون في شرائع بني الرسالات ، التي لم ينسخها التطور جزءاً من الشريعة الإسلامية الخاتمة.

فهم المسلمون يعترفون بالآخرين ، اعترافاً تقضي به العقيدة الدينية وسنة التعددية ، ويضعون اختلافاتهم معهم في إطار هذه السنة ، سنة التعددية في الشرائع الدينية السماوية.

بل لقد أدخل المسلمون - بعد الفتوحات الإسلامية - العديد من الديانات « الوضعية » في فارس والهند والصين ضمن الديانات الكتابية. وقال بعض الفقهاء: لقد كانت لهذه الديانات كتب أبي عليها الضياع فاعترفوا « دينياً » وليس فقط « واقعياً » بهذا الآخر الديني وطبقوا على أممها وشعوبها قاعدة « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » التي سنها رسول الإسلام ﷺ ، منطلقين من سنته الأخرى التي دعا فيها أمته إلى أن يسلموا في التعامل مع أهل هذه « الديانات » سنة التعامل مع أهل التوراة وأهل الإنجيل.

هذا هو الموقف الإسلامي ، الذي يعترف بالآخر الديني ويؤمن بكل النبوات والرسالات السابقة ﴿ لا نفرّق بين أحد من رسله ﴾[1]. - والأنبياء إخوة بعلاّت - أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[2]

---

(١) البقرة ٢٨٥

(٢) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد

والمسلم يرى إسلامه الامتداد المكمل لدين الله الواحد والميراث الجامع لكل الشرائع والرسالات ومع أنه هو « الكافي به فَقْد ما سواه » ، فلقد أقر كل صاحب دين على دينه ، معتبراً التعددية في الشرائع والاختلاف في الفلل سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل وحساب المخالفين إنما هو لله ، سبحانه وتعالى ، يوم الدين ولا ينقص هذا الاختلاف أحداً من أطرافه حظاً من حظوظه في هذه الحياة الدنيا

لكن موقف الآخرين من الإسلام والمسلمين هو موقف الإنكار وعدم الاعتراف أو القبول فالإسلام في عرفهم دين سماوي ، ولا رسوله صادق في رسالته ولا كتابه وحي من السماء حتى تتصل المعارفة ، في عالم الإسلام إلى حيث تعترف الأكثرية المسلمة بالأقليات غير المسلمة على حين لا تعترف الأقليات بالأغلبية !

فكيف يكون وكيف يثمر حوار ديني بين طرفين أحدهما يعترف بالآخر ويقبل به طرفاً في إطار الدين السماوي ، بينما الطرف الآخر يصنعه كمجرد « واقع » ، وليس كائن بالمعنى السماوي لمصطلح الدين ؟ !

ذلك هو الشرط الأول والضروري المفقود ، وذلك هو السر في عقم كل الحوارات الدينية التي تمت وتتم رغم ما يبذل ويبذل فيها من جهود ، وأنفق وينفق عليها من أموال ، ورصد ويرصد لها من إمكانات

أما السبب الثاني لعزوفي عن المشاركة في الحوارات الدينية - التي أدعي إليها - فهو معرفتي بالمقاصد الحقيقية للآخرين من وراء الحوار الديني مع المسلمين، فهم يريدون التعرف على الإسلام، وهذا حقهم، إن لم يكن واجبهم، لكن لا يتعايشوا معه، وفقاً لسنة التعددية في الملل والشرائع، وإنما ليحذفوه ويطووا صفحته بتنصير المسلمين!

وهم لا يريدون الحوار مع المسلمين بحثاً عن القواسم المشتركة حول القضايا الحياتية التي يمكن الاتفاق على حلول إيمانية لمشكلاتها، وإنما ليكرسوا أو على الأقل يصمتوا عن المظالم التي يكتوي المسلمون بنارها، والتي صنعتها وتصنعها الدوائر الاستعمارية، التي كثيراً ما استخدمت هذا الآخر الديني في فرض هذه المظالم وتكريسها في عالم الإسلام.

فحرمان كثير من الشعوب الإسلامية من حقها الفطري والطبيعي في تقرير المصير، واغتصاب الأرض والسيادة، في القدس وفلسطين، والبوسنة والهرسك، وكوسوفا والسنجق وكشمير والفلبين، إلخ، إلخ، كلها أمور مسكوت عنها في مؤتمرات الحوار الديني.

بل إن وثائق مؤتمرات التدبير لتنصير المسلمين التي تتسابق في ميادينها كل الكنائس الغربية، تعترف هذه الوثائق بأن الحوار الديني - بالنسبة لهم - لا يعني التخلي عن «الجهود القسرية والواعية والمتعددة والتكتيكية لجذب الناس من

مجتمع ديني ما إلى الآخر ، بل ربما كان الحوار مرحلة من مراحل التنصير!

وإذا كانت النصرانية الغربية تتوزعها كنيستان كبريان الكاثوليكية والبروتستانتية الإنجيلية فإن فاتيكان الكاثوليكية - الذي أقام مؤسسات للحوار مع المسلمين ، ودعا إلى كثير من مؤتمرات هذا الحوار هو الذي رفع شعار « أفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م » فلما أرف الموعد ، ولم يتحقق الوعد ، مدّ أجل هذا « الطمع » إلى سنة ٢٠٢٥م !!.

وهو الذي عقد مع الكيان الصهيوني « المغتصب للقدس وفلسطين » معاهدة في ١٩٩٣/١٢/٣٠م تحدثت عن العلاقة الفريدة بين الكاثوليكية وبين الشعب اليهودي ، واعترفت بالأمر الواقع للاغتصاب وأخذت كنائسها في القدس المحتلة تسجل نفسها وفقاً للقانون الإسرائيلي الذي ضم المدينة إلى إسرائيل سنة ١٩٦٧م !

بل لقد لزمت هذه المعاهدة كل الكنائس الكاثوليكية بما جاء فيها أي أنها دعت وتدعو كل المنتمين لسلطة الفاتيكان الدينية - حتى ولو كانوا مواطنين في وطن العروبة وعالم الإسلام إلى حياته قضاياهم الوطنية والقومية

وباسم هذه الكاثوليكية أعلن بابا الفاتيكان أن القدس هي الوطن الروحي لليهودية ، وشعار الدولة اليهودية بل وطلب الغفران من اليهود وذلك بعد أن ظلت كنيسته قروناً متطاولة تبيع صكوك الغفران .

أما الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية العربية فإنها هي التي فكرت ودبرت وقررت في وثائق مؤتمر كولورادو سنة ١٩٧٨م

« إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية وإن النظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً .. إنه حركة دينية معادية للنصرانية ، مخططة تخطيطاً يفوق قدرة البشر ونحن بحاجة إلى مئات المراكز تؤسس حول العالم ، بواسطة النصارى للتركيز على الإسلام ، ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام ، وللتعامل النصراني مع الإسلام ، وإنما لتوصيل ذلك الفهم إلى المبصرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء »

ولقد سلك هذا المخطط في سبيل تحقيق الاختراق للإسلام وتنصير المسلمين - كل السبل اللاأخلاقية التي لا تليق بأهل أي دين من الأديان فتحدثت مقررات هذا المؤتمر عن العمل على اجتذاب الكنائس الشرقية الوطنية إلى

خيانة شعوبها ، والضلوع في مخطط اختراق الإسلام والثقافة الإسلامية للشعوب التي هي جزء وطني أصيل فيها . فقالت وثائق هذه المقررات :

« لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي . إن النصارى البروتستانت في الشرق الأوسط وإفريقيا واسيا منهمكون بصورة عميقة ومؤثرة في عملية تنصير المسلمين .

ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم ، وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية ، وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معاً بروح تامة من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين » .

فهم يريدون تحويل الأقليات الدينية في بلادنا إلى شركاء في هذا النشاط التنصيري المعادي لشعوبهم وأمتهم .

كذلك قررت « بروتوكولات » هذا المؤتمر تدريب وتوظيف العمالة المدنية الأجنبية التي تعمل في البلاد الإسلامية لمحاربة الإسلام وتنصير المسلمين وفي ذلك قالوا :

« إنه على الرغم من وجود متنصرين بروتستانت ، من أمريكا الشمالية في الخارج أكثر من أي وقت

مصى ، فإن عدد الأمريكيين الفنيين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق عدد المبصرين بأكثر من ١٠٠ إلى ١ وهؤلاء يمكنهم أيضاً أن يعملوا مع المبصرين جنباً إلى جنب لتنصير العالم الإسلامى وخاصة فى البلاد التى تمنع حكوماتها التنصير العلنى » .

كذلك دعت قرارات مؤتمر كولورادو إلى التركيز على أبناء المسلمين الذين يدرسون أو يعملون فى البلاد الغربية ، مستغلين عزلتهم عن المناخ الإسلامى لتحويلهم إلى « مزارع ومشاتل للنصرانية » وذلك لإعادة غرسهم وغرس النصرانية فى بلادهم عندما يعودون إليها . وعن ذلك قالوا

« يتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدى الذى توفره المجتمعات الإسلامية ويعيشون نمطاً من الحياة مختلفاً فى ظل الثقافة العلمانية والمادية فإن عقيدة الغالبية العظمى منهم تتعرض للتأثر

وإذا كانت « تربة » المسلمين فى بلادهم هى بالنسبة للتنصير « أرضاً صلبة » ووعرة « فإن بالإمكان إيجاد « مزارع » خصبة بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم حيث يتم الزرع والسقى والتهيئة للعمل فعال عندما تعاد زرعهم ثانية فى تربة أوطانهم كمبصرين » .

بل إن بروتوكولات هذا المؤتمر التنصيري تبلغ قمة اللاأخلاقية عندما تقرر أن صناعة الكوارث في العالم الإسلامي هي السبيل لإفقاد المسلمين توازنهم الذي يسهل عملية تحولهم عن الإسلام إلى النصرانية ! فتقول هذه البروتوكولات :

« لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية فلابد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها .

وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية كالفقر والمرض والكوارث والحروب وقد تكون معنوية كالتفرقة العنصرية والوضع الاجتماعي المتدني .

وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة ، فلن يكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية . إن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح عملاً مهماً في عملية التنصير !

وإن إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري ، فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى »

فهم رغم مسوح رجال الدين يسعون إلى صنع الكوارث في بلادنا ليحتل توازن المسلمين وذلك حتى يتبعوا إسلامهم بقاء مأوى أو كسرة خبز أو جرعة دواء ! وفيما حدث ويحدث لضحايا المجاعات والحروب الأهلية والتطهير العرقي - في البلاد الإسلامية - التطبيق العملي لهذا الذي قررته البروتوكولات .

فهل يمكن أن يكون هناك حوار حقيقي ومثمر مع هؤلاء ؟

تلك بعض من الأسباب التي جعلتني متحفظاً على دعوات ومؤتمرات وندوات الحوار بين الإسلام والنصرانية الغربية وهي أسباب دعمتها وأكدتها « تجارب حوارية » مارستها في لقاء تم في « قبرص » وآخر سبعينيات القرن العشرين ووجدت يومها أن الكنيسة الأمريكية التي ترعى هذا الحوار وتنفق عليه قد اتخذت من إحدى القلاع التي بناها الصليبيون إبان حروبهم ضد المسلمين « قاعدة » ومقراً لإدارة هذا الحوار ؟ !

ومؤتمر آخر للحوار حضرته في عمّان بإطار المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مع الكنيسة الكاثوليكية في الثمانينيات - وفيه حاولت عبثاً انتزاع كلمة منهم تناصر قضايانا العادلة في القدس وفلسطين فذهبت جهودنا أدراج الرياح على حين كانوا يدعوننا إلى « علمنة » العالم الإسلامي ، لطي صفحة الإسلام كمنهج للحياة الدنيا تمهيداً لطي صفحته بالتبصير كمنهج للحياة الآخرة !

ومنذ ذلك التاريخ عزمت على الإعراض عن حضور « مسارح » هذا الحوار !

لكنني عندما دعيت من « المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية » والذي أشرف بعضويته - إلى لقاء « إسلامي مسيحي » مع اتحاد الكنائس الإنجيلية في ألمانيا ٢٩ ذي القعدة ٢ ذي الحجة سنة ١٤١٧هـ / ٧-٩ إبريل سنة ١٩٩٧م بعمان لم أتردد في تلبية الدعوة لا لأني قد غيرت رأيي في مثل هذه اللقاءات وإنما لطبيعة الموضوع الذي كان محور هذا اللقاء

فقد كان الموضوع عن « الدين والعلمانية » فأحببت أن أسمع رأي الكنيسة الغربية في تجربتها مع العلمانية التي صارعت المسيحية الغربية حتى صرعتها، وهي العلمانية التي صدرتها لنا أوروبا لتصنع مع إسلامنا ما صنعته مع النصرانية الغربية.

وزاد من حماسي لحضور هذا اللقاء تكليفي بالتعقيب على بحث من بحوث هذا اللقاء عن « عملية العلمنة والمسيحية الغربية » كتبه الدكتور « جونفرايد كوبرس » وهو أستاذ في اللاهوت الإنجيلي والأخلاقيات الاجتماعية بجامعة القوات المسلحة في ميونيخ بألمانيا، أي أنه قسيس وعالم اجتماع في ذات الوقت.

وهو بحث فيه من ثمرات الصدق ما تجعله شهادة إدانة للغرب وكنائسه وعملائه من المتغربين العلمانيين في بلدانه الذين يعملون على أن تصنع هذه العلمانية بإسلامنا وإنسانيتنا المسلم هذا الذي صنعته العلمانية بالنصرانية الغربية، والإنسان الغربي.

لقد وجدت في حضور هذا اللقاء فرصة استثنائية للحوار مع قس وعالم اجتماع، حول قضية مشتركة هي هزيمة العلمانية للدين، ثم عجزها عن القيام بالدور الذي يجب أن يقوم به الدين في حياة الإنسان. وكما سعدت بتحدي الدكتور « كوبرس » وأثنيت على صدقه مع نفسه، وإن كان قد وقف عند نقد الذي حدث، ولم يقدم صراحة مخرجاً من المأزق الذي

سقطت فيه أوروبا العلمانية - فلقد سعد الرجل بتقدي بهذا الذي حدث ويحدث بأوروبا وكنائسها حول هذا الموضوع رغم ما لامسه نقدي من نقاط حساسة ، يقابلها الكثيرون عادة ولقد قابلوها بتوتر قرب الاحتقان

ولأن هذا الذي كتبه الدكتور « كوبرس » هو شهادة شاهد من أهلها ولأن تعليقي على شهادته هذه ، هو موقف لا علاقة له بالمذاهب والنفاق الذين يطفح بهما أغلب منتديات الحوار الديني فلقد آثرت أن أقدم جميع ذلك إلى الباحثين والقراء

لقد قال الدكتور « كوبرس » في بحثه هذا عن العلمنة وعن صنعها بالنصرانية وعن الثمرات المرة التي تعاني منها أوروبا اليوم

لقد مثلت العلمنة تراجع السلطة المسيحية وضياع أهميتها الدينية وتحول معتقدات مسيحية إلى مفاهيم دنيوية والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية وسيادة مبدأ دين بلا سياسة وسياسة بلا دين

ولقد نبعت العلمانية من التنوير الغربي وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين وانتصاره عليه باعتباره مجرد أثر لحقبة من حقب التاريخ البشري يتلاشى باطراد في مسار التطور الإنساني

ومن نتائج العلمانية فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم بل وزوال أهميته أيضاً كقوة موجهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس ، وللحياة بشكل عام فسلطة الدولة ، وليست الحقيقة هي التي تصنع القانون وهي التي تمنح الحرية الدينية

ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها ديناً حل محل الدين المسيحي ، يفهم الوجود بقوى دنيوية ، هي العقل والعلم .

لكن وبعد تلاشي المسيحية سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة على أسئلة الإنسان ، التي كان الدين يقدم لها الإجابات فالقناعات العقلية أصبحت مفتقرة إلى اليقين وغدت الحداثة العلمانية غير واثقة من نفسها ، بل وتفكك أنساقها العقلية والعلمية عدمية ما بعد الحداثة فدخلت الثقافة العلمانية في أزمة ، بعد أن أدخلت الدين المسيحي في أزمة فالإنهاك الذي أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر العلماني الحديث . وتحققت نبوءة نيتشة « ١٨٤٤ - ١٩٠٠ » عن « إقرار التطور الثقافي الغربي لأناس يفتقدون « نجمهم »

الذي فوقهم ، ويحيون حياة تافهة ذات بعد واحد ، لا يعرف الواحد منهم شيئا خارج نطاقه » وبعبارة « ماكس فيبر » « ١٨٦٤ - ١٩٢٠ » « لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم ، وعلماء لا قلوب لهم »

ولأن الاهتمام الإنساني بالدين لم يتلاش ، بل تزيد وفي ظل انحسار المسيحية انفتح باب أوروبا لضروب من الروحانيات وخليط من العقائد الدينية لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالكنيسة من التنجيم إلى عبادة القوى الخفية والخارقة والاعتقاد بالأشباح وطقوس الهنود الحمر وروحانيات الديانات الآسيوية والإسلام ، الذي أخذ يحقق نجاحا متزايدا في المجتمعات الغربية

لقد أزالت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوروبا ثم عجزت عن تحقيق سيادة دينها العلماني على الإنسان الأوروبي ، عندما أصبح معبدها العلمي عتيقا » ! فقد نسي « النجم » الذي كانوا به يهتدون وعد الخلاص المسيحي ثم وعد الخلاص العلماني !

ليت بعض من عبارات الدكتور « كوبرلين » التي قدمها في بحثه عن « عملية العلمنة والمسيحية الغربية » ، ولو أن الكنائس الغربية لم تخن نصرانيتها لركزت جهودها ضد العلمانية في بلدها ، وعملت على إعادة تنصير أوروبا بدلا من هذه الحرب التي تشبه تنصير المسلمين

ولو أن هذه الكنائس ، أخلصت لمنظومة التدين - مطلق التدين وللقيم الإيمانية - مطلق القيم الإيمانية لسعدت بصمود الإسلام فى وجه العلمانية ، ونجاة المسلمين من هذا الذى أحدثته العلمانية بالإنسان الغربى والمجتمعات الغربية .. لكن الغريب والعجيب ، أن هذه الكنائس لم تصنع شيئا من ذلك ، وإنما صنعت العكس ، فزاد سعار حقدها على الإسلام ، لأنه قاوم ولا يزال يقاوم العلمانية ، محافظا على سلطان الدين والتدين فى قلوب المسلمين .. فكأن هذه الكنائس تريد أن تزرع فى الجسم الإسلامى ذات الجراثيم القاتلة التى قتلت تدين المجتمعات الغربية !

بل إن هذا الصمود الإسلامى - وفى ذلك مدعاة للغرابة والاستغراب - هو الذى جعل دوائر القرار الاستراتيجى فى الغرب ، تعلن - بعد انهيار المنظومة الشيوعية - أن الإسلام هو العدو الذى حل محل امبراطورية الشر الشيوعية .. لأنه - من بين كل الثقافات غير الغربية - المستعصى على العلمنة ، والذى يستيقظ ليقدم لأمته مشروعا للنهضة ملتزما بمعايير الدين وقيم الإيمان ..

وعن هذه الحقيقة ، تحدثت مجلة « شئون دولية » INTERANATIONAL AFFAIRS فقالت :

« لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتى .. وبالنسبة لهذا الغرض كان الإسلام جاهزاً فى المتناول ..فالإسلام رافض لأى تمييز بين ما لله وما لقيصر..

وهو لا يسمح لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين فى دولة علمانية .. إنه استثناء مدهش وتام جداً من النظرية التى يعتنقها علماء الاجتماع ، والتى تقول إن المجتمع الصناعى والعلمى الحديث يحل العلمنة محل الإيمان الدينى .. فلم تتم أى علمنة فى عالم الإسلام ، وسيطرة هذا الدين على المؤمنين به هى سيطرة قوية ، بل إنها أقوى الآن مما كانت عليه من مائة سنة مضت .. إنه مقاوم للعلمنة ، فى ظل مختلف النظم السياسية - راديكالية .. وتقليدية .. وبين بين - وعمليات الإصلاح الذاتى تتم فى العالم الإسلامى ، باسم الإيمان الدينى ، وليس على أنقاض هذا الإيمان .. ولأن الإسلام هو الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلى وحقيقى للثقافة العلمانية الغربية ، كان - من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب - الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة » .

فرفض الإسلام والمسلمين للعلمنة - ومن ثم التبعية للنموذج الغربى - هو السبب الجوهرى لإعلان الغرب أن العدو الجديد - الذى حل محل الشيوعية - هو الإسلام ..

وهو السبب الذى جعل الحوارات الدينية - مع الكنائس الغربية - حوارات طرشان ! ... لأن هذه الكنائس ، بدلا من أن تتعلم من الإسلام كيفية الصمود ضد العلمانية ، نراها تستهدف - حتى من وراء حواراتها الدينية - ليس فقط العلمانية ، ليس فقط علمنة المسلمين - كما تريد الدوائر العلمانية الغربية - وإنما طى صفحة الإسلام من الوجود ! .

محتويات الكتاب

الموضـــــــوع	الصفحة
* تقديم للأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق	٣
* بأصوات العقلاء نواجه الأعداء والعقلاء والدهماء	١١
* أكذوبة الخط الهمايونى	٢١
* أكذوبة اضطهاد الأقباط	٣٣
* التوتر الطائفى .. لماذا ؟ ومتى ؟؟	٤٩
* المسلمون والآخر من يعترف بمن ؟ .. ومن يستأصل من ؟؟	٦٧
* التخطيط لانهيار مصر وتفتيتها !!	٨٩
* الانتماء الإسلامى والأقليات الدينية والقومية	١٠٧
* حوار الأديان .. هل هو حوار طرشان ؟	١٢١

تراث العرب الخالد

الجذور التاريخية والجسور الحضارية

« مادة للحوار »

أ . د . محمد محمد أبو ليلة

الثمن ٥٠ قرشا